التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 169 السنة التاسعة عشر - ديسمبر 2021

التّبعات الاجتماعيّة للخصخصة

موقفنا

فتور تجاه تقرير ديوان الرقابة

يلاحظ أن تقرير ديوان الرقابة الماليّة والإدارية مرّ هذا العام بصمت، قياساً لما كان يحيط بالتقارير السابقة من اهتمام ووقفات، إن في الصحافة أو في وسائل التواصل الاجتماعي أو حتى لدى مؤسسات المجتمع المدني والفعاليات السّياسيّة والمجتمعيّة، فضلاً عن البرلمان، ليس لأن التقرير لم يأت بجديد، او أنه لم يحتو على بيانات كثيرة حول تجاوزات ماليّة وإداريّة فاقعة، وأوجه عديدة لهدر المال العام، وتكرار فظ لنفس الأخطاء والتجاوزات في الوزارات والإدارات والهيئات ذاتها، ومن قبل نفس القائمين عليها، التي رصدتها التقارير السابقة منذ تأسيس ديوان الرقابة، وانتظام صدور تقاريره سنوياً.

ولسنا في حاجة لتكرار ما عبرنا عنه كل عام من تقدير لأهميّة تشكيل هذا الديوان، فذلك شكّل خطوة مهمة في اتجاه تأمين بعض متطلبات الرّقابة على طريقة صرف المال العام، وأيضاً لن نكرر ما سبق قوله عن المهنيّة التي يصدر بها التقرير كل سنة، بصرف النظر عن تحفظات معينة تطال النطاق المشمول بالرقابة التي يقوم بها الديوان لترصد في تقريره.

لسنا في حاجة لتكرار ذلك لأنه يظل صحيحاً، ولكن لا بد من إثارة النقاش حول ما يمكن وصفه باللامبالاة تجاه التقرير الجديد، رغم أهميّة ما يحتويه، لأن هذا بالذات ما جرى التحذير منه مراراً في السنوات السابقة، حول الغاية من إصدار التقرير سنوياً، فهل هي محصورة في مجرد رصد ما يمكن بلوغه من تجاوزات ومخالفات، وتدوينها في التقرير، ثم وضعه في الأدراج؟، أم أن المطلوب هو تحويله إلى أداة رقابة فعليّة على أداء الوزارات والهيئات، بُغية صون المال العام من الهدر وتجويد الأداء الإداري وتخليصه مما يعتريه من سوء أداء وأوجه فساد؟

لقد استمرأ كبار المسؤولين في الوزارات والهيئات الحكوميّة عادة أن يصدر التقرير متضمناً بعض أوجه مخالفاتهم دون أن تطالهم أية مساءلة أو تدابيرعقابيّة، كتنحية من يثبت ارتكابه لتجاوزات خطيرة منهم، أو على الأقل تحذيرهم من مغبة تكرار التجاوزات نفسها في المستقبل، فلم يعد هذا التقرير يخيفهم أو يقلقهم، خاصة بعد أن جرى الاكتفاء بنشر ملخص صغير عن مضمونه، والتخلي عن العادة الحميدة السابقة بنشره كاملاً، ليقرأ المهتمون محتوياته كلها.

إن استمرّ هذا الوضع كما هو فعلينا ألا نتفاجىء بالفتور العام الذي سيلقاه التقرير وقت صدوره كل عام، ما يفقده الغاية المرتجاة منه.

التقدمي

الراحل حسن محمد في عيون محبيه 7-5

البطالة مشكلة تكبر ككرة الثلج 16

وصفات صندوق النقد الدولي 20

45 عاماً على استشهاد المناضلين محمد غلوم بوجيري وسعيد العويناتي

في الثاني والثاني عشر من شهر ديسمبر الحالي تنقضي 45 سنة على استشهاد المناضلين الرفيق محمد غلوم بوجيري عضو الجبهة الشعبية في البحرين، والشاعر الرفيق سعيد العويناتي عضو جبهة التحرير الوطني البحرانية، اللذين تمت تصفيتهما في أقبية التعذيب في سجون البحرين في عام 1976، حتى أن الشهيد سعيد سلمّ جثة هامدة لعائلته بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على اعتقاله، لوحشية ما تعرض له من تعذيب.

استشهد المناضلان محمد وسعيد في حملة اعتقالات طالت العديد من مناضلي الحركة الوطنية بعد مرور أكثر قليلاً من عام على حل المجلس الوطني في 26 أغسطس 1975، حيث سادت في البلاد أجواء القمع والترهيب وتمّ تطبيق قانون أمن الدولة وتدابير محكمة أمن الدولة على مناضلي الحركة الوطنية انذاك من أعضاء جبهة التحرير والجبهة الشعبية وسواهم من المناضلين،

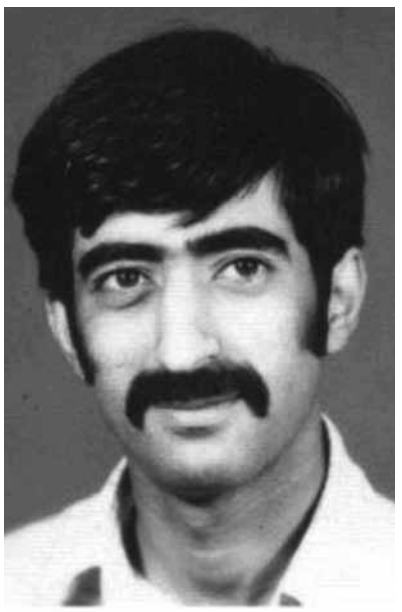

حيث بقي العشرات منهم في السجون والمعتقلات لسنوات طويلة، وظلّ قانون أمن الدولة السيء الصيت جاثماً على رقاب شعبنا وحركته الوطنية لمدة ربع قرن حتى فبراير من عام 2001، مع بدء الإنفراج السياسي في البحرين.

في مثل هذا الوقت من كل عام نحيي ذكرى الشهيدين البطلين، محمد وسعيد، مستعيدين واحدة من الصفحات المؤلمة في تاريخنا، ولكنها المفعمة بالشجاعة والصمود والثبات على الموقف، ولنستلهم من تضحية الشهيدين بحياتيهما فداء للوطن قوة الإرادة والعزيمة، والاصرار على مواصلة مسيرة العمل الوطني، حتى يتحقق لشعبنا ما ناضلت أجيال من أجله، ولا زالت تناضل حتى اليوم.

وكما في كل عام ترتفع الأصوات مطالبة بتحقيق العدالة والإنصاف لكل ضحايا التعذيب ومحاسبة المسؤولين.

نتائج مؤتمر غلاسكو لتغير المناخ مخيبة للآمال

وصف الباحث الاقتصادي الدكتور محمد الصياد نتائج ومخرجات مؤتمر الأمم المتحدة للمناخ (COP26) المنعقد بغلاسكو، بالمخيبة للآمال.

وقال الصياد في ندوة ضمن ملتقى التقدمي بعنوان "تداعيات مخرجات مؤتمر غلاسكو" بأن: "هذا المؤتمر من المؤتمرات الهامة وفيه حضور لزعماء كثر، وله أهمية في ظل تغير المناخ، مشيراً إلى أنه كان هناك تنافس بين بريطانيا وإيطاليا على استضافته، قبل انعقاده، وتمّ اختيار بريطانيا وبدورها اختارت مدينة غلاسكو لانها مدينة نظيفة وجميلة، ومن أجل تحقيق العدالة المناخية حضر مئات الشباب المؤتمر".

وأضاف الصياد: "إعلان غلاسكو لمؤتمر المناخ أقرّ لأول مرة التقليل التدريجي لاستخدام الفحم الحجري، كما جاء ليؤكد على اتفاقية باريس الخاصة بالمناخ".

فيما أوضحت المهندسة البيئية زهوة الكواري بأن: "المؤتمر أقرّ تخفيض نسبة انبعاث الفحم من 2 إلى 1.5"، معتبرة بأنها: "إحدى القرارات القليلة التي خرج بها المؤتمر". ودعت الكواري:" الأفراد ومنظمات المجتمع المدني بالاهتمام أكثر في الشأن البيئي والتغير المناخي".

وشددت على:" إيجاد فكر بيئي سليم في المجتمع ومنظمات المجتمع المدني".

المزعل تضيء محطات الثورة العربية الكبرى في التقدمي

قدّمت أستاذة التاريخ المعاصر في جامعة البحرين الدكتورة شرف المزعل، محاضرة ضمن ملتقى الأحد بالمنبر التقدمي تحت عنوان «الثورة العربية الكبرى، إضاءات تاريخية»، استعرضت فيها الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ادت الى قيام الثورة العربية بقيادة الشريف الحسين بن علي لتخليص الأمة العربية من الدولة العثمانية والمسارات والمحاور التي مرت بها الثورة العربية الكبرى.

واستعرضت المزعل تاريخ الثورة العربية الكبرى، والجوانب التاريخية التي مرت بها بداية من انطلاقها وصولاً إلى أفولها، وتشكّل الدول العربية في فترة لاحقة، متناولة الوسائل التي استخدمها المستعمر للتحكم في المنطقة.

«دارا الزرادشتي» في ملتقى التقدمي

نظمت اللجنة الثقافية في المنبر التقدمي ندوة ضمن فعاليات ملقى الأحد بعنوان (دارا ورحلة التحولات.. المعتقد والعقيدة) تحدث فيها الدكتور عقيل الموسوي، التي تحدث فيها عن روايته الأخيرة: «دارا الزرادشتي».

في الرواية يستحضر عقيل الموسوي الملل والنحل والثقافات والحضارات التي تكتنزها بلاد فارس، مستلهماً شخصية الزاهد المتصوف «دارا» الذي اتخذ من الترحال والسفر والتنقل عبر الأمكنة وسيلته للاستكشاف، قاطعاً المسافات من أجل التزود بالمعرفة والعلم والإيمان.

تتحدث الرواية عن فكرة قلما تمّ التطرق إليها أدبياً، وهي كيف تعامل الإيرانيون الذين يؤمنون بالزردشتية مع الدين الجديد: الإسلام، كما تطرح فكرة التشابه بين الأديان، وتتناول أفكار المذاهب السائدة في إيران في تلك الفترة مثل عقائد المعتزلة والمتصوفة والإسماعيلية والشيعة.

فضفضة

عيسى الدرازي

إلى جابر

عرفت حسن علي محمد خليفة أو «جابر» حسبما دأب رفاقه على تسميته ابان العمل السري لجبهة التحرير الوطني البحرانية، قبل ما يقارب عام. لم أنل شرف لقاء الرجل شخصياً او التواصل معه بصورة مباشرة أو حتى غير مباشرة، إلا أن معرفتي به جاءت إثر قراءات في سيرة المناضل الموسيقي مجيد مرهون، حيث حرضني الصديق محمد شاهين على مشاركته في كتابة سيناريو لعمل فني درامي يدور حول مجيد مرهون.

العمل لا زال في طور المسودات والأفكار الأوليّة رغم بداية الفكرة منذ فترة ليست بالقصيرة، إلا ان قامة كمجيد تلزمك بأن تعمل على نار هادئة خوفاً من أن تبخس حقه، وأتمنى أن يرى النور يوماً ما. وأحسب بأن ذكري للمشروع علانية هنا لعله يكون وعداً أقطعه على نفسي ألتزم به وألزم به صاحب الفضل الأول للفكرة الصديق شاهين بأن يظل العمل يلح علينا حتى تكتمل أركانه.

ما دلنا على "جابر" هي سيرة مجيد مرهون، التي وصفت حسن علي محمد خليفة بأنه المسؤول عن تنظيم مجيد مرهون ضمن كوادر جبهة التحرير الوطني البحرانية، وأنه كان السبب في أن يخطو مجيد خطواته الأولى نحو التنظيم الذي كوّن شخصيته النضالية التي نعرفها سواء بصورة مباشرة للذين عاصروه أو من خلال موسيقاه وسيرته للذين لم يحالفهم الزمن للقائه.

هناك جهود بذلت سابقاً في كتابة سيرة التقدمي منذ البذرة الأولى وصولاً لما هو عليه اليوم، وهناك أكثر من مبادرة سابقة جرت لكتابة سيرة الرعيل الأول من المناضلين الذين كان لهم الفضل حتى يظهر التقدمي بصورته العلنية اليوم، ولكنها عملية تحتاج لعمل مستمر ومسؤولية كبيرة تتحملها شبيبة التقدمي ولا استثني نفسي من تحمل المسؤولية فالمهمة صعبة والمسؤولية جماعية، فالتاريخ أرث الجيل السابق ولكنه كنز ثمين للأجيال القادمة.

في اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة

قطاع المرأة بالتقدمي: نطالب بسدّ النواقص في التشريعات المتصلة بحقوق المراة

قال قطاع المرأة بالمنبر التقدمي إنه «على الرغم من مصادقة مملكة البحرين على عدد من الإتفاقيات لحماية حقوق المرأة وبالأخص اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، والإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، فإن العنف لازال منتشرًا وأغلبه غير مبلغ عنه بسبب القيم الإجتماعية السائدة أو بسبب تدابير الحماية، الأمر الذي يؤثر على عدم تمكن النساء المعنفات من الأخذ بحقوقهن».

جاء ذلك في بيان أصدره القطاع بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، الذي يحتفل به العالم في اليوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ومن كل عام، ويأتي هذا الاحتفال هذا العام تحت شعار «أوقفوا العنف ضد النساء والفتيات الآن».

وجاء في بيان قطاع المرأة: «إن صدور قانون الحماية من العنف الأسري رقم (17) بسنة 2015 يُعدّ خطوة أولية على طريق الحماية من العنف، إلا أن هذا القانون بحاجة إلى مراجعة وسد بعض الثغرات، ومن ذلك ضرورة تعديل تعريف العنف ليشمل فعل التهديد إضافة إلى الحماية من العنف في مجال العمل وفي الفضاء الافتراضي والتحرش الجنسي والاغتصاب الزوجي وغيرها من قضايا العنف الواقع على المرأة».

وأكدّ البيان على أن «ما شهدناه مؤخرًا من قضايا أثارت المجتمع المحلي تتصل بالمعلقات اللواتي ينتظرن الإنصاف، ومن هذه القضايا ما هو منظور في المحاكم الشرعية، يكشف حالة الغبن الذي تعيشه المرأة وما تتعرض له من تسلط، في ظل قوانين وتشريعات يعتريها الكثير من الإجحاف لتشابكها مع منظومة الأعراف والعادات والتقاليد».

وطالب قطاع المرأة في التقدمي في بيانه بأن «تلقى هذه القضية وكل القضايا المماثلة الاهتمام اللازم من قبل الجهات المعنية من أجل الوقوف على حالة الظلم واللاعدالة الناجمة عن تقييد حق النساء في الطلاق والذي يستغرق حسمه في المحاكم الشرعية وقتًا طويلًا، خاصة في القضايا المتصلة بالمنازعات حول مبلغ البذل، حيث تتعرض الزوجات للإبتزاز، الأمر الذي يضعهن أمام وضع تعجيزي بين نيل حريتهن والقدرة على البذل».

وإذ عبرَ عن تقديره للجهود المبذولة سواء على مستوى المجلس النيابي أو منظمات المجتمع المدني أو الاتحاد العام لنقابات العمال في ملف البطالة وخاصة البطالة المتفشية بين الإناث، فإنه أكدّ «على دور الدولة في العمل على رفع هذه المعاناه وذلك بتوفير فرص العمل اللائقة التي تضمن العيش الكريم، وندعو إلى حوار جاد ومتعمق تشارك فيه مختلف الأطراف الرسمية والأهلية ذات العلاقة لبحث تلك القضايا والملفات ومختلف جوانب وضع المرأة البحرينية».

كما طالب "بتفعيل دور مكاتب الإرشاد الأسري الرسمية والأهلية وتفعيل حقيقي لمكتب التوفيق الأسري بمبنى محاكم الأسرة وزيادة دور الإيواء لمواجهة الحالات المتزايدة التي تتعرض للعنف وتحتاج إلى مثل هذه المكاتب وخدماتها، مؤكداً على "وضع وتنفيذ برامج تتصدى للمفاهيم المغلوطة ضد المرأة والموروثات السلبية وتشجيع المرأة على التبليغ حال تعرضها إلى العنف، ووضع آلية واضحة لتقديم خدمات الوقاية، وتبني إصلاحات تشريعية وقضائية وإدارية تضمن تكافؤ الفرص أمام النساء للحصول على الطلاق والإسراع في معالجة الإجراءات القضائية التي تعطل حصولهن عليه"، وعلى ضرورة "تسريع إجراء التعديلات لسدّ النواقص في التشريعات والقوانين المناهضة للعنف والمعنية بحقوق المرأة ومساواتها بالرجل كقانون الأسرة وقانون الإنتخاب وقانون الجنسية مع التأكيد على أحقية الأم بمنح جنسيتها لأبنائها عند زواجها من أجنبي، وإلغاء المادة 353 من قانون العقوبات المتعلقة بالإغتصاب."

التقدمي يؤبن فقيده المناضل حسن علي خليفة

الأمين العام: نحتفي بمناضل شجاع ووجه مضيء في تاريخ حركتنا الوطنية

أقام المنبر التقدمي تأبيناً للمناضل الشجاع حسن علي محمد خليفة، أحد مناضلي جهة التحرير الوطني البحرانية، الذي رحل عنا في ١١ أكتوبر الماضي، شارك فيه عدد من رفاق وأصدقاء الفقيد وأفراد عائلته، وأدارته الرفيقة إيمان شويطر.

وفي كلمته لتأبين المناضل الفقيد، قال الأمين العام للمنبر التقدمي خليل يوسف بأنه: "في حياة كل شعب هناك أشخاص ناضلوا، وكافحوا، ولعبوا أدوراً في مسيرة أوطانهم، والمناضل حسن علي محمد خليفة واحد من مناضلي هذا الوطن، شعلة وطنية وهاجة، ولا أعرف ان كنا في هذه المناسبة سنوفيه حقه، لأننا مهما تطرقنا إلى سيرة نضاله وحراكه الوطني في مختلف المحطات والملفات الوطنية سنجد أن هناك جوانب أخرى في سيرته ومساره، يكفي القول إن من عرفه احترم ما في داخله من أفكار وقناعات ومواقف، كانت البوصلة فيها دائماً متجهة نحو الوطن".

وأضاف يوسف: "لقاؤنا اليوم ليس تأبيناً فحسب، إنما هو احتفال واحتفاء بالمسيرة الزاخرة لهذه السيرة لرجل مناضل رحل، ووجه مضيء من وجوه تاريخ شعبنا وحركتنا الوطنية والتقدمية، نجدد كامل التقدير والاعتزاز له ولكل من كابدوا الكثير في ظروف النضال السري الصعبة، وبذلوا جهودًا كبيرة في بناء جبهة التحرير الوطني ونشر الوعي التقدمي في المجتمع، ونادوا بحقوق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة، وهذا ما أكده المنبر التقدمي في بيانه وهو ينعى هذا المناضل الشجاع".

وتابع يوسف: "هذه المناسبة اليوم نستذكر فيها مناقب هذا المناضل، المجنون بحب الوطن كما تصفه ابنته لولوة، ونستذكر معه وبكل فخر واعتزاز تاريخ شعبنا وحركتنا الوطنية التي ضمت الى جانبه العديد من المناضلين الذين التصقوا بهموم وتطلعات شعوبهم، وقبضوا على جمر الوطنية في الصميم، وكانوا المنارة التي أضاءت فضاءات الوطن في مسيرة النضال الوطني".

وواصل يوسف: "لم تكن حياة حسن على محمد خليفة "أبو نصر"، وحياة بقية المناضلين مجرد أيام راكمها الزمن، بل جهاداً ونضالاً ومواقف والتزام فكرى وسياسي واخلاقي واصبحوا عناوين مضيئة في مسيرة الحركة النضالية، وصوت من لا صوت لهم، لمناضلنا حسن على محمد خليفة ولكل المناضلين من جبهة التحرير الوطني، وغيرهم من أبناء هذا الوطن، ومنهم من معنا اليوم في هذه القاعة يشرفوننا بحضورهم، وهم اليوم جزء حي من ذاكرة الوطن، نؤكد أن قلوبنا تمتلئ اعتزازاً بسيرة هؤلاء ونضالاتهم الوطنية، وسعيهم لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقة، فلكم منا وعلى الدوام كامل المحبة والتقدير والعرفان".

مفتونٌ بالبحرين

من جانبها، تساءلت ابنة الفقيد المناضل حسن علي محمد خليفة، لولوة، عما يمكن ان يطلق على والدها حينما: «يخير بين السجن أو النفي، ويختار أن يستغني عن حريته حتى لا يترك تراب الوطن، أمناضلاً نسميه أم مجنوناً؟».

وقالت: «كان والدي مفتوناً. مفتوناً بالبحرين التي اختارها لتكون أمه. وهو الذي لم يحظ بحنان الأم التي فقدها قبل أن يكمل السنتين من عمره. أبي الذي كسر قاعدة «فاقد الشيء لا يعطيه» كان بحراً من الحنان في هيئة إنسان». وتابعت: "كان يقدس تراب هذه الأرض بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ مؤمنٌ بأن لا شيء يستحق الكفاح من أجله سوى الوطن. والدي اليساري حتى النخاع الذي قضى حياته كلها يعطي ولا يأخذ. هو أكثر من عرفت نبلاً وشهامة».

أما زميل الفقيد في سجنه في (جدا) عضو «التقدمي» المناضل حسن جاسم، فاستذكر أيام السجن مع الفقيد وقال: "تعرض مناضلو جبهة التحرير الوطني البحرانية للعديد من الملاحقات والمطاردات البوليسية والاعتقالات، ومن ذلك ما حدث في صيف 1968 بتوجيه ضربة قاسية للعديد من الرفاق وكوادر الجبهة بهدف شل النشاط السياسي والجماهيري للجبهة، بل والقضاء عليها، ومن بين تلك الكوادر البارزة

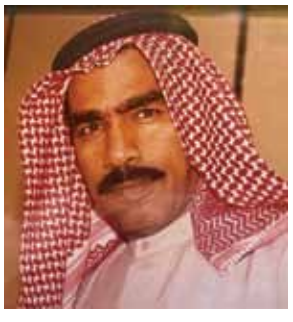

خليل يوسف: المناضل حسن علي محمد خليفة واحد من مناضلي هذا الوطن شعلة وطنية وهاجة ولا أعرف ان كنا في هذه المناسبة سنوفيه حقه

خليل يوسف

حسن جاسم

عيد ياسين

أحمد الفايز

والنشطة التي تم اعتقالها هو رفيقنا الراحل حسن علي محمد خليفة، حيث أنـه تعرض لمحاكمة صورية قضت بحكمه ست سنوات والمتحدث امامكم ايضاً تعرض لمحاكمة صورية قضت بحكمه خمس سنوات لحداثة سنه".

وتابع: «بعد انتهاء المحاكمة، نقلونا إلى جزيرة جدا، هناك البسونا السلاسل وحكموا علينا بالأشغال الشاقة والبسيطة". وأضاف: "كان الرفيق طوال فترة سجنه يتميز بالاتزان والنباهة والهدوء والاخلاق النبيلة، لذلك حظي بالاحترام من كافة السجناء والمعتقلين وحتى الشرطة ومدير السجن فرانك سميث، بالرغم من مشاركته في العديد من الاضرابات داخل السجن وبعض الاحيان الاشتباكات مع البوليس".

وواصل جاسم: "كنت مع الرفيق نتبادل الآراء في مختلف القضايا التي تواجهنا داخل السجن، فكان حاذق البصيرة برؤيته الفكرية والعملية، وعلى ضوء ذلك نتخذ القرارات بما يتعلق بالتعامل مع البوليس وضابط السجن، وطوال فترة السجن كنا محرومين من اقتناء الكتب والمجلات، الا أن الرفيق كان يحتفظ بذاكرته القوية، فكان يحدثني ويشرح لي بعض المفاهيم السياسية التي لم أكن أدركها آنذاك لحداثة سني وقلة خبرتي في الحياة السياسية والنضالية في صفوف الجبهة، حيث يرجع له الفضل في بلورة أفكاري وثبات العزيمة والإرادة بالوقوف جنباً إلى جنب في تحركاتنا نحو تحسين مستوى الحياة داخل السجن".

صاحب موقف

المناضل عيد ياسين، قال في مداخلته: «لقد قضيت ثلاثة أعوام بالكامل في زنزانة واحدة مع المناضل الراحل حسن علي محمد مع سجين جنائي آخر، كنا نتبادل الحديث داخل الزنزانة وهو رجل صاحب موقف ورأي، لذلك اعتز بصداقته هو والمناضل الشهيد محمد بو نفور»، وتحدث عن وعيه الاجتماعي وعلاقته ومحبته واهتمامه بأسرته زوجته وأولاده، يقول كان آخر اتصل به قبل أيام من وفاته».

أما الأستاذ أحمد الفايز، قريب الفقيد، فقال:

إيمان شويطر

عباس عواجي

"بأنه شاهد (جيب) الشرطة واقفاً أمام بيت المناضل الراحل حسن علي، وإذا بهم يخرجون من بيته وهو مقيد ولكنه كان مرفوع الرأس، في عام 1968 في "فريج الزياني" بالمحرق، كان حسن علي مناضلاً بصلابته وبمواقفه، وكانت المناضلة الأخرى زوجته بنت أختي التي انتظرت المناضل حسن ستة أعوام ولم تتخل عنه بالرغم من الضغوطات العائلية عليها بعدما تمت محاكمة حسن وتنفيذ الحكم، كانت وقتها خطيبته، انتظرت تلك السنوات الست".

فيما أشار النقابي عباس عواجي في مداخلته بأنه: "التقى الرفيق الراحل حسن علي لأول مرة عام 1966 عندما كان يأتي للمنامة للاجتماع بخلية كان فيها الرفيق الراحل عبدعلي الخباز وشقيقه جعفر عواجي الذي توفى بعد حوالي تسعة أيام من وفاة الفقيد المناضل حسن علي،

عبد الحميد القائد

يقول الرفيق عباس كنت بمثابة مراقب لهم، ومرة ثانية التقيت به في سجن جدا عام 1972 بعد أن أصبحت قائداً نقابياً، كان الرفيق الراحل حسن علي مناضلاً صلباً".

وقال الشاعر عبد الحميد القائد بأنه: "عرف المناضل الراحل حسن علي محمد، عندما كان عمره عشر سنوات من خلال رفقته لشقيقه الرفيق الراحل حسين القائد والرفيق محمد فروتن، وقتها لم يكن يعي دوره النضالي بسبب صغر سنه، وفي عام 1966 شاهده وهو يلقي كلمة باللغة الانجليزية في شركة طيران الخليج في حفل وداع أحد العاملين الأجانب فيها، وكان في كلمته يشيد بنضال الطبقة العاملة ودورها التاريخي في التغيير والنضال المطلبي، مرة أخـرى التقى به في سجن جدا عام 1970".

القائد: عرفتُ المناضل الراحل عندما كنتُ في العاشرة من عمري من خلال رفقته للمناضلين شقيقي حسن ومحمد فروتن

في عام ١٩٦٦ القى كلمة باللغة الانجليزية في شركة طيران الخليج في حفل وداع أحد العاملين الأجانب فيها، وكان في كلمته يشيد بنضال الطبقة العاملة ودورها التاريخي في التغيير والنضال المطلبي

كلمة ابنة الفقيد

أن تختـار البحـريـن

ماذا نسميه؟ من يُخير بين السجن أو النفي، ويختار أن يستغني عن حريته حتى لا يترك تراب الوطن!

أمناضلاً نسميه أم مجنوناً؟

لقد كان والدي مفتوناً .. مفتوناً بالبحرين التي اختارها لتكون أمه .. وهو الذي لم يحظ بحنان الأم التي فقدها قبل أن يكمل السنتين من عمره.. أبي الذي كسر قاعدة «فاقد الشيء لا يعطيه!» كان بحراً من الحنان في هيئة إنسان.

كان يُقدّس تراب هذه الأرض بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ مؤمناً بأن لا شيء يستحق الكفاح من أجله سوى الوطن.. والدي اليساري حتى النخاع الذي قضى حياته كلها يعطي ولا يأخذ.. هو أكثر من عرفت نبلاً وشهامة.

قبل عدة أعوام، عاد أبي ليختار البحرين مرة ثانية حينما سنحت لي الفرصة لنيل وظيفة مرموقة في دولة الكويت طلبت منه أن ينتقل هو وأمي معي.. لما قد تكون بالنسبة لي فرصة العمر، وفاجأتني الإجابة.. إذ كنت أظنّ بأنه لن يقدر على فراقي! فقال: «يا بنتي إلا هوى الديرة، ما أقدر أعيش بره البحرين.. أموت» لم أتوقع أن يختار البحرين على ابنته.. واخترت أنا الأخرى البقاء بقربه..

كم كنت أغار كثيراً من حبه المفرط للبحرين وأغار أكثر من قلبه المتيم بأمي.. كيف لا يكون؟ وهي من انتظرته طويلاً حتى عاد إليها من «الجامعة» كما كان ورفاقه يسمون تلك المرحلة من حياتهم.. أمي حبيبته التي اختارها ليؤسس معها عائلة شريطة أن يترك دهاليز العمل السياسي.

جاء زواجه من أمي التي لا يكف يوصيني وأخوتي: «تحملوا في أمكم» كتميمة يومية يرددها منذ كنا صغاراً .. ليكون نقطة التحوّل في خط حياته.. كرس أبي كل حياته بعد السجن لأسرته الصغيرة.. كنا هاجسه الأول.. أن يربينا على المبادئ الإنسانية في العطاء والتسامح، والمحبة.. فلم نعرف عنه قط أن تخاصم مع أي إنسان أو حتى ذكر شخص بسلبية.

علمنا كيف نكون أخوة بحق، فلا يبات منا واحد وفي قلبه شيء على الآخر.. كان يعمل ليل نهار.. ليوفر لنا كل أسباب الهناء والرفاهية.. نشأنا نذهب للنادي، ونمارس هوايات متنوعة.. من نادي بابكو إلى مركز سلمان الثقافي إلى المركز الثقافي البريطاني.. هو يملك عصاة الساحر ويحقق لنا كل ما نتمنى.

أذكر في طفولتي أنه كان يقرأ لنا بصوته الجهوري الجميل من مكتبته الثريّة والمتنوعة مواضيع كانت خارج فكرنا وسابقة لعمرنا.. وطالما كان يسبقنا

لولوة حسن محمد

النعاس لكنه في الليلة التالية يكمل حيث انتهى..

لقد شكّل والدي الوعي لدينا منذ الصغر ليصبح لكل واحد فينا فكرٌ خاص به.. لدرجة أننا نشأنا نظن بأن أحد مسلمات الحياة أن يكون للمرء فكره المستقل!

لم يكن والدي كلاسيكياً بفكره ولا حتى بهندامه.. كان في كل شيء يقوم به مختلفاً.. أذكر محاولاتنا المستميتة لإقناعه بدفع فاتورة الكهرباء إلكترونياً وكان يرفض رفضاً قاطعاً ويصر على الدفع بالحضور الشخصي خوفا على الموظف من أن يفقد وظيفته وبالتالي تتأثر الأسرة التي يعيلها.. وفي سنواته الأخيرة كان يحمل عكازاً دون حاجة حقيقية له ويصر على تعليق شعار البحرين أعلى جيب ثوبه بجانب قلبه.. ولطالما كنت امازحه «شفيك يبا؟ تبي جواز؟»

وفي آخر أيام حياته كان والدي ينام طويلاً، وكنا نقضي فترة الزيارة في المستشفى بقربه نتحدث مع بعضنا البعض بينما هو يستمع لنا مغمضاً عينيه.. هكذا كان طبعه هادئاً قليل الكلام.. ما كنا نعتقد بأنه مجرد إلتهاب بسيط سيزول في أيام معدودة بعدما يبدأ مفعول المضاد بالتأثير إنقلب بين ليلة وضحاها.

وفي صباح آخر يوم كان لا يزال أبي في وعيه استقبلنا مرتدياً ثوبه.. فبادرته: «بابا أريح لك ثياب المستشفى عشان الفحوصات»، فجاوبني: «أنا مستحب اليوم أكشخ بالثوب»، ثم سأل أخي عن شعار البحرين والذي نسيت أنا في غفلة مني أن أضعه حيث يحب أبي بجانب قلبه.. معتقدة بأن لا حاجة له به وهو بتلك الحال!

كان ذلك درسه الأخير لنا.. هو المجنون بحب الوطن.. أحبوا البحرين حتى آخر العمر..

نشأة وتطوّر الحركة النقابية

جواد المرخي

يتحدث التاريخ عن دور الحركة النقابية على مستوى العالم بالإرتباط بقوة مع نضالات الطبقة العاملة في إطار الصراع المستمر مع القوى المستغلة للعمال، حيث أن الحركة النقابية تعتبر القاعدة الأساسية للحركة العمالية في المصانع، خصوصا مع بداية الثورة الصناعية في الدول الأوروبية بحيث أن العمال هم من يديروا آلات الانتاج وتوزيعه.

كما أنّ الحركة النقابية هي التي تؤسس القواعد لأشكال العمل المنظم في صفوف العمال في كل من مجالي العمل والإنتاج، في مواجهة كل الاحتمالات، ومنها حدوث المخاطر التي يتعرض لها العمال.

ويختلف مفهوم دور النقابة حسب الإنتماء الفكري والسياسي، فالحركة النقابية نشأت وتطورت في اوروبا لأسباب موضوعية وذاتية ملحة فرضتها الظروف مع بداية المراحل الثورية لنضال الطبقة العاملة في سبيل التحرر من صنوف الاستغلال، ومن أجل طرح المطالب ونيل الحقوق والوقوف ضد غطرسة الطبقة الراسمالية وأعوانها، مع نشوء المصانع الكبيرة وحاجتها للقوى العاملة بالألاف من أجل دفع عجلة استمرارية الإنتاج، ما أدى إلى تنامي أعداد العمال وزجهم في العمل في ظروف صعبة للغاية، حيث طول ساعات العمل والتي بلغت آنذاك من 12 الى 16 ساعة .

كان العمل بدون قوانين أو أطر لحماية العمال مع كثرة الحوادث المميتة والأمراض لعدم وجود الرعاية الصحية، وغياب أسس وضوابط السلامة المهنية مع تشغيل العمالة الرخيصة من النساء والأطفال الذين كانوا الأكثر عرضة للاستغلال مع تدني الأجور.

وساهم ظهور أفكار جديدة كالفكر الماركسي في بلوغ الوعي الحقيقي التدريجي في صفوف الشغيلة، وحثّ العمال على ضرورة الوحدة في النضال، وبتنامى هذا الوعي ازداد رفض العمال لأساليب الاضطهاد، كما ساهم هذا الوعي في دفع عجلة النضال الموحد الأممي والمنظم بدلاً من التحرك العفوي والفردي.

تطوّر الأمر إلى قيام النقابات التي أسست في البداية في انكلترا في عام 1864، وفي فرنسا عام 1884، حتى عمّت النقابات العديد من دول أوروبا، فتطوّرت الحركة النقابية وكذلك أساليب النضال النقابي الجماعي مع تطور أنشطة حركة الطبقة العاملة على مستوى العالم، وأصبحت النقابات كالمدارس التي تخرج العمال وتدفعهم في طريق النضال المستمر.

وعليه فإن التنظيمات النقابية على مستوى العالم تعتبر الشريك الأساسي في إطار العمل الموحد بين الحركتين العمالية والنقابية، وهذا هو الأهم في سبيل خوض النضال الأممي للعمال من أجل حياة أفضل لسائر الشغيلة في الجانب المعيشي والاجتماعي والتقاعد ورفع مستوى الأجور ليتساوى مع غلاء المعيشة المستمر.

ومن المهم أن تكون الحركة النقابية بعيدة عن الرضوخ لمسألة الابتزاز والتحايل والتلاعب لسلب المكتسبات والحقوق العمالية، وهذه مسألة مرتبطة بضرورة نمو وتطوّر المفاهيم النقابية كأداة لزيادة وتيرة النضال اليومي للعمال من خلال الوعي الوطني والسياسي والاجتماعي، وهذا يحتاج إلى سياسات نقابية مستقلة بعيداً عن هيمنة القوى الشعبوية والتوجهات العنصرية والطائفية والرجعية التي تخدم مصالح الطبقات المستغلة.

تعديلات نيـابية جوهـرية علـى قـانـون التقـاعـد

أرجعت صحيفة «أخبار الخليج» إلى مصادر مطلعة بأن لجنة الخدمات بمجلس النواب قد انتهت من مناقشة مشروع قانون التقاعد الحكومي للقطاعين العام والخاص، وأن اللجنة ستعمل خلال الفترة القادمة على عرض النتائج التي خلصت إليها، على الحكومة، وعلى مجلس النواب.

وكشفت المصادر أن لجنة الخدمات أجرت مجموعة من التعديلات الجوهرية على المشروع بقانون حكومي، أبرزها زيادة المعاشات التي تقدر بنحو 1500 دينار فأقل بنسبة قدرها 3 ٪ سنويا، وأنه إذا وجد فائض في الصناديق يتم زيادة جميع المعاشات بنسبة 3 ٪ من دون التقيد بمبلغ المعاش، كما تمّ تعديل بند رفع نسبة الاستقطاع الشهري، بحيث لا يتحمل الموظف أي زيادة في نسب الاستقطاع .

وبشأن مادة استمرار الموظف في العمل اختياريا إلى سن 65 سنة طالبت اللجنة بأن يكون هناك تحفيز في هذا الشأن بأن يستحق الموظف الذي سيستمر في العمل حتى 65 سنة معاشا بنسبة 100 ٪ من راتبه، كما رفضت اللجنة تعديل خفض الراتب التقاعدي بواقع 6 ٪ لكل متقاعد قبل بلوغ سن الـ60 .

وأقرّت اللجنة احتساب الراتب التقاعدي على أساس متوسط الراتب للسنتين الأخيرتين للموظف بدلا من 5 سنوات الموجودة في المشروع بقانون .

كما رأت ضرورة إضافة الأجانب إلى صناديق التقاعد، ولكن من دون أن يحصلوا على راتب تقاعدي، وإنما يحصلون فقط على مكافأة نهاية الخدمة طبقا لما سيتم استقطاعه من راتبهم الشهري، معتبرة أن هذا الأمر سيسهم في ضخ مبالغ ضخمة إلى صناديق التقاعد قد تساعد في سد العجز الاكتواري .

وكانت هيئة التأمين الاجتماعي قد أوضحت في ردها على استفسار للجنة، أن إدماج الأجانب سيحقق إيرادات سنوية تقدر بنحو 200 مليون دينار سنويا .

"**أخبار الخليج**» - 2 **نوفمبر** 2021

الاستغناء عن 11 طبيبًا بعقود مؤقتة في «السلمانية»

طالب عدد من الأطباء، بلغ عددهم 11 طبيبًا، الجهات المعنية بالقطاع الحكومي الصحي بإصدار التوجيهات اللازمة لتثبيتهم في وظائف دائمة في مجمع السلمانية الطبي، وذلك نظير الخدمات التي قدموها في خدمة الوطن والمواطن في فترة الوظيفة المؤقتة.

وناشد الأطباء المسؤولين بضرورة توظيفهم بعد انتهاء العقد مع «تمكين» نهاية شهر سبتمبر الماضي، خاصة أنهم حاليًا بدون وظيفة أو مصدر دخل ناهيك عن الالتزامات المالية المتراكمة عليهم.

وقالوا: «إننا مجموعة من الأطباء تم توظيفنا بعقود مؤقتة عبر (تمكين)، وحيث أن الفترة قد انقضت وكنا في أثنائها قد أسهمنا في مواجهة جائحة «كورونا» ونجحنا بجدارة وتميز في امتحانات البورد العربي، وحال دون تمكننا من تكملة امتحانات البورد العربي انقضاء العقد قبل تحديد مواعيد الامتحانات المقرر انعقادها في 2022، وفي ذلك إجحاف لنا، خاصة وأن عقودنا مع تمكين لم تتضمن أي حقوق، لذا فإننا نلتمس إصدار التوجيهات اللازمة لتثبيتنا في وظائف دائمة في مجمع السلمانية الطبي لما أسهمنا فيه من خدمة للوطن والمواطن في فترة الوظيفة المؤقتة».

وأكدوا أن المسؤولين أخبروهم انه لا توجد ميزانية لتثبيتهم في العمل في السلمانية، وعليه تمّ الاستغناء عنهم، خاصة وأن العقود تدريبية فقط فلا تلتزم وزارة الصحة بالتثبيت.

وأضافوا أن المسؤولين في مجمع السلمانية الطبي أكدوا لهم أنه سيتم رفع أسمائهم جميعًا بقسم الموارد البشرية للتوظيف ولكن لم يوظف سوى 40٪ منهم بعقد لمدة سنة ولم يتم استدعاء 11 طبيبًا، تمّ رفض طلبهم للاستفسار من قبل المسؤولين في المستشفى.

«**الأيام**» - 12 **نوفمبر** 2021

«العمالي» يدعو لإعطاء العمالة المنزلية الحق في تنظيم نقابة

اختتم الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين مؤتمر الهجرة الآمنة للعمالة المنزلية الذي نظمه بالتعاون مع مؤسسة فريديش إيبرت، وأوصى في ختام أعماله بتطوير التشريعات الخاصة بالعمالة المنزلية في دول مجلس التعاون الخليجي لتشمل الحماية الاجتماعية وعقود العمل وصولاً إلى الحق في التنظيم النقابي، وكذلك دعوة دول الخليج العربي إلى التصديق على الاتفاقية الدولية رقم 189 الخاصة بحقوق العمالة المنزلية، وكذلك الاتفاقية 190 الخاصة بالقضاء على العنف والتحرش في عالم العمل.

وطالبت توصيات الاتحاد العام بالعمل على وضع آلية واضحة ومتاحة للعمالة المنزلية لتقديم شكوى عمالية بما يضمن سهولة الوصول إلى العدالة لفئة العمالة المنزلية.

كما طالب الاتحاد بمشاركة نقابات العمال في أي بروتوكول أو مذكرة تفاهم توقعها الدولة إذا كانت ذات علاقة مع العمل والعمال، والتزام رب العمل بتدريب وتأهيل العمالة المنزلية على التكنولوجيا الخاصة بوسائل التواصل الاجتماعي.

ودعت توصيات المؤتمر إلى إدراج العمالة المنزلية ليشملهم قانون العمل بجميع فصوله كاملة بما يكفل عدم حصول أي شكل من أشكال التمييز في الحقوق والمكتسبات، وأن يشمل العقد للعمالة المنزلية شرط قبول صاحب المنزل بحرية التفتيش من الجهات المعنية دون الحاجة إلى أذونات أخرى من خلال إعطاء المفتش صفة الضبط القضائي.

كما طالب الاتحاد العام بشمول العمالة المنزلية بالتأمين الصحي وأنظمة الحماية الاجتماعية.

«**الوطن**» - 23 **نوفمبر** 2021

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

وقف العلاوة عن العاطلين الذين يختاروا الدراسة

نقلت صحيفة «الأيام» عن مصادر بأن وزارة العمل والتنمية الاجتماعية اتخذت تدابير للتحقق من استيفاء شروط صرف علاوة التعطل.

وبحسب المصادر، تمّ إيقاف العلاوة عن الطلبة المسجلين في المعاهد والجامعات ومؤسسات التعليم العالي، وإغلاق ملفاتهم كباحثين عن العمل.

وذكرت المصادر أنه يجري التنسيق بين وزارة العمل والتنمية الاجتماعية مع الجامعات الخاصة، ومقارنة سجلات الطلبة بملفات العاطلين، وإغلاق الملفات التي تعتبر غير مستوفية لشروط الحصول على إعانة التعطل.

ولفتت إلى أنه من خلال تحديث بيانات المسجلين كباحثين عن العمل، والمستفيدين من علاوة التعطل، تمت الإشارة إلى أن سبب إغلاق العديد من تلك الملفات أنهم طلبة، ودعت لتحديث البيانات في حال التخرج، وتزويد وزارة العمل أو مركز التوظيف بما يثبت تركهم الدراسة من خلال الحضور الشخصي في أقرب فرصة.

وأشارت المصادر إلى أن الحصول على المبالغ في هذه الحالة يعتبر غشًا واحتيالاً، وأنه سيتم اتخاذ الإجراءات القانونية واسترجاع المبالغ المستحقة للوزارة.

"**الأيام**"- 24 **اكتوبر** 2021

دعا إلى إلغائه كلياً

فلاح هاشم: 40 ألفاً من العمالة الوطنية في القطاع غير المنظم تنافسها تصاريح «العمل المرن»

قال النائب فلاح هاشم بان جلسة مجلس الوزراء بتاريخ 24 أغسطس 2020 وبناءً على توصية اللجنة التنسيقية تمت الموافقة على إجراءات تطوير سياسة التصريح لصاحب العمل الأجنبي لمزاولة بعض الأنشطة المهنية (تصريح العمل المرن) لاستحداث معايير واشتراطات مهنية لمزاولة 20 مهنة عملية تم تحديدها، وأي مهن أخرى ترى اللجنة أهمية تضمينها ، بهدف تعزيز الجودة والتنافسية، مؤكداً: «ضرورة أن تتجسد نتيجة عمل هذه اللجنة على الارض بحيث يعالج جميع إشكاليات هذا النظام»، مشدداً في الوقت ذاته على «أهمية إلغاء نظام التصريح المرن».

وكان هاشم متحدثاً ضمن ندوة لتلال نيوز عربية حول «تأثيرات التصريح المرن على الاقتصاد البحريني» بمشاركة عضو مجلس الشورى درويش المناعي، ومستشار جمعية المقاولين البحرينية هشام مطر، والأمين العام المساعد للتشريع والدراسات يوسف أحمد الشملان.

وتساءل هاشم: «كيف تكونت هذه العمالة والتي وصلت الى ما يقدر بـ 80 ألف في بعض الفترات، والتي جاءت بصورة شرعية بتراخيص رسمية وعلى كفالة أصحاب عمل مرخصين، وتعمل في قطاعات منظمة» واستدرك:» هل كانت هناك جدية في إجراءات الحد من ظاهرة العمالة السائبة ومحاربة تجارة الفري فيزا التي تصل الى مستوى الاتجار بالبشر».

واعتبر هاشم بأنه: «لم يكن هناك من جدية لحل موضوع

الفري فيزا، والدليل أن لا أخبار عن تقديم أي شخص للمحاكمة بسبب تجارة الفري فيزا طوال السنوات السابقة رغم أنها مخالفة قانونية».

موضحاً بأن:» هناك من تم إلغاء تصاريح عملهم أو لم تجدد لهم التصاريح، ولم يغادروا البلاد، وإن معظمهم من العاملين الاجانب الذين لهم مستحقات سواء أجور لم تدفع او مكافأة نهاية الخدمة لعدة سنوات لدى أصحاب الأعمال وبعض منهم ممن تعثر أو أفلس ربُ علمهم»، وتابع:» لولا استبعاد العمالة الاجنبية من التأمين لكان يمكن أن تسد مستحقاتهم التأمينية مستحقات نهاية الخدمة، وبذلك يستطيعون أن يغادروا البلاد».

وأشار هاشم إلى أن: «عدد العمالة في القطاع غير المنظم من العمالة الوطنية تقدر، حسب تصريحات وزير العمل، بأكثر من 40 ألفاً، يعملون في عدة مهن منها: سواق سيارات بأنواعها، باعة متجولين، أصحاب فرشات في الأسواق، عاملين من منازلهم، أصحاب مهن بسيطة، وغيرهم هم عرضة لمنافسة غير متكافئة من حملة التصريح المرن ايضاً».

وشدد على أن: «هناك العديد من التحفظات والمآخذ على العمل في هذا القطاع، بسبب انتقاص حقوق العاملين فيه، منها عدم شمولهم بالقوانين (العمل – التأمين – الإجازات – العلاج) وبذلك فإن هذا التصريح ساهم في توسيع حجم العمالة في القطاع غير المنظم.

وأضاف بأن:»هناك تبعات كثيرة على البلد وفي جميع الصعد من وراء هذا النظام، كالتبعات الصحية والتكاليف الكبيرة التي تحملتها البحرين من الميزانية العامة أثناء جائحة كوفيد 19 رغم أننا نعتبر أن ما قامت به البحرين تجاه جميع من هم على أرضها وما قدمته من خدمات جاء متوافقا مع أرقى الممارسات الانسانية من جانب، هذا عدا مدى انعكاسه ايضاً على سلامة وصحة المواطنين وساهم في نجاح جهود الفريق الوطني في تطويق ومحاصرة الوباء والتقليل من الخسائر».

اقتراح مستعجل لإيقاف إجراءات فصل طيارين بحرينيين

قدم خمسة نواب اقتراحا برغبة بصفة مستعجلة بشأن إيقاف إجراءات فصل لالطيارين البحريني في شركة طيران الخليج.

وقال النواب (سيد فلاح هاشم فلاح، زينب عبد الأمير، خالد بوعنق، عبد النبي سلمان، وابراهيم النفيعي) إن قرارات تعسفية أقدمت عليها إدارة شركة طيران الخليج (والتي تعتبر الشركة الطيران الوطنية) بفصل مجموعة من العاملين في طيران الخليج وبالذات فئة الطيارين حيث وصل عددهم إلى 11 طيار، وبدون إجراء أي تحقيق جدي وبدون إعطاء المفصولين فرصة الدفاع عن أنفسهم أو تمكين النقابة من حضور هذه الاجتماعات وفق ما ينص عليه القانون.

ورأى النواب: "أن الفصل يعد مخالفاً للإجراءات والممارسات المتبعة في الفترة الأخيرة والتي أدت إلى خروج العديد من الكفاءات البحرينية من الشركة له من الانعكاسات أيضاً على بقية العاملين خاصة أطقم الطيران من طيارين وطيارين مساعدين ومضيفين، الذين يتحملون مسؤولية كبيرة هم في أمس الحاجة أن يشعرون بالاطمئنان وليس التهديد وتسليط سيف العقاب والفصل على رقابهم سلامة الركاب».

وضع حد لمعاناة أبناء البحرينيات «عديمي الجنسية»

التقى عضو كتلة تقدّم البرلمانية يوسف زينل بمجموعة من الأمهات البحرينيات، وذلك بغرض بحث ما قد يكون أقرب إلى الظاهرة لعدد كبير من أبناء البحرينيات الذين لا يمتلكون الجنسية البحرينية وخاصة من الآباء عديمي الجنسية أو الأبناء المهجورين غير المعروف مكان تواجد آبائهم.

وفي اللقاء الذي تمّ مؤخرًا في مكتب النائب زينل، تم التطرق إلى (الظاهرة)، والإشارة لوجود قنوات معينة للحل وذلك بالتنسيق مع القنوات لاسياسية ومن خلال مجلس النواب وتبني كتلة (تقدم) للموضوع، إلى جانب عقد ندوات ولقاءات مع المسؤولين وأعضاء مجلس النواب ومع الجهات المعنية لإثـراء النقاش وإيجاد الحلول العملية.

وأضاف: ننوه للسبيل القضائي، وذلك من أجل النظر في بعض الحالات التي تستدعي تدخل القضاء وحسم أمر الأمهات البحرينيات اللاتي يقعن في فلك المشكلة وجميع شرائح المجتمع المتضررة.

زينل: ننوه للسبيل القضائي من أجل النظر في بعض الحالات التي تستدعي تدخل القضاء وحسم أمر الأمهات البحرينيات

مبررات إلغاء مزايا التعطل عن الطلبة الجامعيين

تقدّم عضو كتلة تقدم البرلمانية يوسف زينل بسؤال برلماني إلى وزير العمل والتنمية الاجتماعية جميل حميدان، حول مبررات إلغاء الوزارة المزايا التي يحصل عليها المستفيد من برنامج التأمين ضد التعطل إذا كانوا يدرسون في الجامعات أو المؤسسات التعليمية الخاصة.

وأضاف زينل في سؤاله للوزير: منذ متى صار تطبيق هذا الإجراء، مع تبيان السند القانوني لذلك؟ وتابع: كم يبلغ عدد المستفيدين من البرنامج الذين أخطرتهم الوزارة بتصحيح أوضاعهم إما بالانسحاب الكامل من الدراسة أو إلغاء صرف بدل التعطل لهم؟ وكم يبلغ العدد التفصيلي للمستفيدين من البرنامج بشكل عام مقسمين إلى الفئات المعتمدة عند الوزارة (جامعي – ثانوي – أقل من ثانوي....)، وذلك للأعوام 2018 – 2019 – 2020؟

ويرى زينل، أن استثناء الطلاب الجامعيين من هذه المزايا، لا يتناسب مع أوضاع شريحة كبيرة منهم تبحث عن العمل لتعيل أسرها في الوقت ذاته تجتهد من أجل تحسين تحصيلها الأكاديمي، ومضيفًا: نتمنى أن لا يكون الهدف الأساسي من مثل هذه القرارات هو إظهار المشكلة على أساس رقم يتقلص بتضييق شروط البطالة إلى أقصى حد دون أن تكون هناك حلول جذرية لمشكلة العمل التي هي حق صريح في الدستور لكل مواطن دون تقييد وبأي مستوى.

تشريع يجرّم كافة خطابات التطرف والتمييز والكراهية

أكد عضو كتلة تقدم البرلمانية يوسف زينل حاجة البحرين لتشريع يجرّم كافة خطابات التطرف والتمييز والكراهية بشكل صريح ودون مواربة، ويتوج حالة التطور المستمرة على الصعيد الحقوقي والقيمي.

وأضاف بمناسبة اليوم العالمي للتسامح، نتحدث عن منظومة بحرينية أرسى قواعدها المشروع الإصلاحي لجلالة الملك، بدأت بما احتواه ميثاق العمل الوطني من رؤى عالية المضامين، أفرزت تاليًا مؤسسات معنية في المقام الأول بالملف الحقوقي، وعززت من ريادة المملكة بوصفها موطنًا للتلاقي والتعايش منذ آلاف السنين.

ونوه زينل في الإطار ذاته إلى وجود حاجة ماسة لتعزيز هذه المنظومة وتكاملها لِلجم كافة الخطابات التي تحض على كراهية الآخر، والتي وجدت في الفضاء الافتراضي بيئة خصبة لها.

د. عبدالله حسين وعادل المتروك

علوي المشهور ود. حسن مدن

الصّحة والتّعليم في بلدان الخليج العربي مثالاً

المنتدى الفكري السّنوي السابع للمنبر التقدمي يناقش الأبعاد الاجتماعيّة للخصخصة

في التاسع والعشرين من أكتوبر/ تشرين أول الماضي انعقد المنتدى الفكري السنوي السابع للمنبر التقدمي، بمشاركة باحثين من البحرين ودول خليجية شقيقة أخرى، حيث ناقش المنتدى، في دورته الجديدة، موضوعاً مهماً تواجهه دول منطقة الخليج العربي، هو موضوع الخصخصة التي أخذت تطال المرافق الحيوية المتصلة بمعيشة المواطنين، بما فيها الصحة والتعليم اللذين اختارهما المنتدى كمثالين، ما سيؤدي في الأفق المنظور إلى تخلي الدولة في بلدان المنطقة عن الكثير من التزاماتها في تأمين الخدمات التّعليمية والصّحية، مع ما سينجم عن ذلك من تبعات اجتماعيّة واقتصاديّة، حيث سلطت الأوراق التي قُدمت في المنتدى وكذلك مناقشاته الضوء عليها باستفاضة.

خليل يوسف

هدف هذا المنتدى هو التنقيب عن الزوايا المختلفة للخصخصة في قطاعي الصحة والتعليم تحديداً لأهميتهما الإستثنائية

وجرياً على التقليد الذي كرّسه المنبر التقدمي في دورات المنتدى السابقة، لم يحصر منتدى هذا العام اهتمامه في الشأن المحلي، بل حرص على أن يكون، في موضوعاته والمشاركين فيه، ذا أفق خليجي، بمشاركة باحثين وناشطين من بلدان المنطقة، ممن عرفوا برؤيتهم التقدميّة والتزامهم بقضايا أوطانهم وذودهم عن مصالح شعوبهم وحقوقها.

الأمين العام: تحذير من التّبعات الخطيرة للخصخصة

ووسط حضور نوعي مهم افتتح المنتدى بكلمة الأمين العام للتقدمي الرفيق خليل يوسف، الذي عبر عن الترحيب بالنخبة الطيبة من الضيوف والحضور من باحثين ودارسين ومفكرين وناشطين لهم حضورهم ومكانتهم، ولهم إسهاماتهم الجادة في بحث ومناقشة القضايا التي تهم مجتمعنا الخليجي، كما هو الحال في الدورات السابقة .

وقال الأمين العام: "ها نحن نعاود اللقاء بكم اليوم لنبحث معاً وبمشاركة أخوة أعزاء من دولة الكويت وسلطنة عُمان، في ملف لا أحسبني بحاجة إلى التأكيد على أهميته خاصة في ظل تنامي مشاريع الخصخصة التي باتت مبرمجة المواعيد والخطوات وتأخذ مساراً تصاعدياً، دون النظر إلى الأبعاد السياسية والاجتماعية الخطيرة المترتبة على هذه

عبدالجليل النعيمي

المشاريع، ولذلك إرتأينا أن نتناول في هذا المنتدى «التبعات الاجتماعية للخصخصة في بلدان المنطقة».

وأوضح أن الهدف هو «أن نقف بالبحث والتنقيب عن الزوايا المختلفة للخصخصة في قطاعي الصحة والتعليم تحديداً، للأهمية الاستثنائية لهذين

د. محمد الصيّاد

عبدالله اشكناني ويحيى المخرق

د. علي فخرو

القطاعين وكونهما الأكثر حساسية لما فيهما من تأثير مباشر على المواطنين وعلى مستقبل الأجيال القادمة، وهناك الكثير من الأسئلة والتساؤلات المثارة حول توجهات وسياسات خصخصتهما في المنطقة، وهل ستحقق هذه الخصخصة الأهداف المرجوة، وقبل ذلك حول معنى خصخصة التعليم والصحة كقطاعين استراتيجيين، وما إذا كان ذلك يعني تخلي الحكومات عن واجباتها في تأمين الخدمات المقدمة للمواطنين في هذا المجالين بذريعة تطوير الخدمات، أو رفع الأعباء المالية عن كاهل الدولة لتحقيق التنمية الشاملة، إلى جانب ما تثيره هذه السياسات والتوجهات من مخاوف ومحاذير من الخطأ الفادح التهوين منها، لا سيما حين تشكل تهرباً من مواجهة التحديات، أو تأجيل مواجهتها بمسكنات وقتية، ولذلك فإن هناك ما يبرر المخاوف والمحاذير أن تتحول خصخصة قطاعي الصحة والتعليم إلى وبال على المواطنين والاقتصاد بوجه عام».

كما أشار الأمين العام في كلمته إلى «أن موضوع الخصخصة بالنسبة للدول النامية، ودولنا الخليجية بشكل خاص مشكلة بالغة التعقيد تتوجب توخي الحرص والحذر قبل اتخاذ القرار الحاسم، لاسيما أن هناك دولاً فشلت في عملية الخصخصة، وهناك دول أعدت برامجاً للخصخصة ولكنها أحجمت عن تنفيذها تخوفاً من حدوث نتائج سلبية خاصة عندما يتعلق الأمر بخصخصة مرافق حساسة كالتي سنتاولها، والتي من المؤكد سترافقها تبعات كالاحتكار، والفساد، وتكوين كيانات تجارية تحتكر أموراً كثيرة مرتبطة بالصحة والتعليم والتركيز على الأرباح وتحقيق العوائد بشكل لا يراعي البعد المتصل بمنظومة الحماية والأمان الاجتماعي».

يحيى المخرق:
من المستفيد من الخصخصة؟

الورقة الأولى في المنتدى قدّمها الرفيق يحيى المخرق عضو اللجنة المركزية للمنبر التقدمي ومسؤول قطاع العمال والنقابات فيه، بعنوان: «الخصخصة .. لمصلحة مَن؟»، وفيها أشار إلى أن الخصخصة تُعرف "بنقل خدمة أو خدمات أو موارد تديرها وتقدّمها الدولة إلى المواطنين والمقيمين والزوار (دون ربحيّة) إلى القطاع الخاص ليقدّمها بدلاً عن الدولة،

محمد مساعد

مقابل الحصول على الأربا.، ويتصاحب معها بيع أو تحويل أدوات الإنتاج والأصول مما تملكه الدولة إلى القطاع الخاص أو اشتراط استثماره في إنشاء وتكوين هذه الأدوات للخدمات غير المتواجدة، ويضع لدى المالك الجديد صلاحيات كبيرة في تقديم الخدمات مع خيار توفير الاحتكار أو امتيازات مؤقتة أو دائمة تشجع على الاستثمار.

وأوضح المخرق أن فكرة الخصخصة ترتكز "على الفكرة النيوليبرالية التي ترى أن "السوق" (بمفهوم القطاع الخاص هنا وقواعد السوق) أكثر عقلانية واحترافية وقدرة على الإدارة من الدولة، وبالتالي يمكن القول بأن لدينا عدة اشكال للخصخصة منها:

تسليم القطاع الخاص مهام مستحدثة لم تديرها الدولة من قبل.

تحويل مهام أو خدمات تديرها الدولة إلى القطاع الخاص.

تحويل جزئي لمهام تديرها الدولة في المجمل، ولكن تحوّل تأدية جزء منها الى القطاع الخاص.

وعلى الصعيد المحلي لاحظ المخرق في ورقته أن البداية لتختلف لاختلاف النظام الاقتصادي السياسي، «فيمكن القول إن أول أشكال الملكية بدأت مع اكتشاف النفط، وفي وقتها كانت البحرين تحت الاستعمار البريطاني، وبداية اكتشاف النفط والعمل على استخراجه كانت على يد شركات أجنبية تملك امتياز استخراج النفط، وبطبيعتها فإنها شركات خاصة إلى أن وصلنا إلى الاستقلال وتأسست الدولة وشركة نفط البحرين، وإذا نظرنا إلى الخدمات التي تقدّمها الدولة، وبعضها بدأ قبل الاستقلال، فإن الكثير منها عُهد به أصلاً إلى القطاع الخاص، ولم تقم الحكومة قط بإدارته مثل المقاولات وأعمال الطرق وغيرها من الخدمات، وهذا شكل من أشكال الخصخصة، ولم تكن هناك حاجة إلى وضع إطار قانوني لتحويل هذه الخدمات إلى القطاع الخاص.

ولكن عندما توجهت الحكومة بشكل رسمي إلى خصخصة قطاعات قائمة تحت ادارتها احتاجت إلى إطار تشريعي، وعليه صدر المرسوم بقانون رقم (41) لسنة 2002 بشأن سياسات وضوابط الخصخصة الصادر في 14 أكتوبر من العام نفسه.

وعملياً، قامت الحكومة بخصخصة العديد من الخدمات التي كانت تقدّمها مثل النقل العام ومحطات الكهرباء وميناء سلمان، وإنشاء شركة تطوير للتنقيب عن النفط، وفتحت المجال لدخول شركات الإتصالات والعديد من المجالات وسنأتي لاحقا إلى تقييم التجربة.

تناول الباحث الأسباب التي تدفع نحو خيار الخصخصة، ليلاحظ أنه في المقام الأول يأتي «الإعتقاد بأن اعتماد نموذج الاقتصاد الحرّ ونظام السوق وبالتبعيّة الخصخصة والاعتماد على القطاع الخاص، عامل أساسي للتقدّم الاقتصادي في الدول الكبرى، وفي أحوال أخرى، للتخلص من المسؤولية الإدارية وللحصول على السيولة لتسديد الإلتزامات المالية من خلال بيع الأصول أو لعدم القدرة المالية في الاستثمار في احتياجات جديدة والحصول على من يستثمر في توفير الأصول المطلوبة لتقديم الخدمات. أيضاً تلجأ الدول للخصخصة لفشلها في التطوير وإصلاح مؤسسات الدولة الخدميّة والاعتقاد بقدرة القطاع الخاص على انجاز هذه المهام».

كما أشار أيضاً إلى أن من أهم الأسباب «تبرز ضغوطات

البنك الدولي، والذي يعتبر نفسه المرجع لتقييم الوضع الاقتصادي للدول من خلال تقاريره الدورية وتصنيفها وتوقع مستقبلها، وفي ذات الوقت يضع المقترحات لإخراجها من مشاكلها وصعوباتها.

إلا أنه في ذات الوقت يقدّم ذات الحلول لكل الدول وكأنما يؤسس لتوجه كل الدول للوصول إلى مصير واحد من خلال إغراقها في الديون وتوجيهها للخصخصة (بيع أصولها) للحصول على التمويل اللازم لتسديد التزاماتها، فالبنك الدولي يهدف إلى الوصول إلى عالم يملكه ويتحكم به القطاع الخاص المتركز في الشركات متعددة الجنسيات في ظلّ الأسواق الحرة وأخذ الحكومات إلى وضع المنظم والمراقب».

وخلصت الورقة إلى أن المستفيد من الخصخصة «في ظل اقتصاد مشوه، مبني على الاقتصاد الحر على الورق، وواقع هو مزيج غريب بين اقتصاد ريعي مديون لا يحتكم لقانون أو قواعد ثابتة ولا استراتيجية له، وفي ظلّ سوق عمل غريب الخصائص، دون رؤية ودون حد أدنى للأجور، تصبح الخصخصة واقعًا عملية نقل لعمليات خدمات من إدارة الدولة وبعمالة وطنيّة إلى ملكية وإدارة القطاع الخاص ويتحول تدريجيًا إلى عمالة أجنبيّة رخيصة بشروط عمل مهينة».

وحذّر الباحث من أنه «بهذه الظروف، ودون ابتكار وتطوير وفعالية، يتحوّل ما كانت تديره الدولة بتكلفة عالية إلى مشروع تجاري يدّر الأرباح على ملاكه الجدد، ولا يتردد هؤلاء المستثمرون في دخول هذه المجالات بتنوعها لأنها خدمات أساسية لا يمكن لأحد أن يستغني عنها، تدفع الدولة في حالات دعمًا لها للحفاظ على أسعارها مع التوجه لرفعه تدريجيًا وتحميله للمستهلك شاء أم أبى».

عبدالله حسين: الخصخصة في مجال الصحة: سلبيّات وعيوب

من جهته تناول الباحث الكويتي د. عبدالله حسين موضوع الخصخصة في مجال الصحة، متخذاً من الكويت حالاً للدراسة، ومنطلقاً في ذلك من مهنته كطبيب، حيث أشار إلى أنه «يمكننا تقسيم طرق تقديم الرعاية الصحية ضمن واحد من اتجاهين، حيث تمثل الخصخصة الحد الفاصل بينهما: الأول هو اتجاه الرعاية الصحية الاجتماعية العامة الذي ينطلق من اعتبار الرعاية الصحية خدمة إنسانية تقدّم للجميع كحق بشري أصيل، لا تأويل فيه ولا نقاش على آليته، بحيث يعد حرمان الناس من هذا الحق من المحرّمات، أما الثاني فهو الرعاية الصحية السلعية الذي يتعامل مع الرعاية الصحية كسلعة يتم تقديمها في سوق العرض والطلب، يقبل عليها من يتمكن من تحمل تبعاتها المالية، ولا ينالها غير القادر على دفع ثمنها.

وأوضح الباحث أنه «لمناقشة موضوع خصخصة القطاع الصحي، يجب علينا في البداية الخوض في تفاصيل مهامه ومتطلباته، لنتمكن من تحديد نجاح هذا القطاع أو فشله في تقديم المهمة المناطة به في حال خصخصته، حيث يمكن تلخيص مهمة القطاع الصحي الحالي في جانبين: الأول هوالجانب الوقائي، الذي يعنى بالاهتمام بالصحة العامة للمجتمع، والوقاية من الأمراض – وهوجانب متواصل من عمليات التوعية والإرشاد، التي تتطلب أجلاً زمنياً طويلاً

ميس الفارسي

عبدالنبي العكري

لمعاينة الفوائد والأثار، يتم خلاله توعية الناس بمختلف الأمراض وإرشادهم إلى سبل الوقاية وتحقيق افضل مستوى من الوعي الصحي المجتمعي. وتجدر الإشارة إلى أنه لهذا الجانب أبعاد وجوانب سياسية واجتماعية لا يمكن اغفالها كذلك».

«أما الجانب العلاجي فهو الذي يعنى بتشخيص وعلاج الأمراض – وهوالجانب العملي الذي يتصل بعمليات العلاج المباشر التي تتم في المستشفيات والمراكز الصحية، حيث يتم خلالها التعامل المباشر مع الحالات ومسببات المرض وعلاجها – دوائياً، جراحياً، نفسياً.. الخ.

وفي تناوله لوضع القطاع الخاص في وطنه الكويت قال الباحث إن الخدمات الصحية في الكويت منذ أكثر من تسعين عاماً مع انشاء أول مستوصف صحي بالكويت في عام 1904 وكان مقرة دار الاعتماد البريطاني. وفي عام 1912 تم انشاء أول مستشفى في الكويت، الذي كان يتبع الإرسالية الأمريكية، وبعد اصدار الدستور الكويتي، الذي نصّ في مادته المادة الخامسة عشرة على أن «تعنى الدولة بالصحة العامة وبوسائل الوقاية والعلاج من الأمراض والأوبئة»، تغيّر مسمى دائرة الصحة العامة لوزارة الصحة العامة التي تمّ تحت اشرافها – باستخدام زيادة دخل النفط – تطوير القطاع الصحي بشكل كبير خلال الأعوام التي تلت استقلال الكويت، حتى اصبحت وزارة الصحة العامة تدير اليوم ما يزيد عن 104 مركزاً صحياً وست مستشفيات عامة وعدداً من المراكز التخصصية بسعة سريرية تتجاوز 7100 سرير.

ثم عرّج الباحث على موضوع خصخصة الخدمات الصحيّة، فبعد أن كانت وزارة الصحة هي الجهة الأساسية لتوفير الخدمات الصحية بمختلف اشكالها، مع وجود القطاع الخاص كعامل ثانوي يركز على توفير الخدمات الصحية الكمالية كالعمليات التجميلية وغيرها من الأمور الجانبية، تعرّض النظام الصحي في السنوات الثلاثين الأخيرة إلى محاولات خصخصته جزئياً أو كلياً، وتجلت هذه المحاولات في محاولة تمرير قانون 37 لعام 2010 – الذي يعرف بقانون الخصخصة، بحيث يشمل خصخصة الصحة، ولكن الموقف الشعبي تمكّن من إفشالها عندما تمّ تعديل المادة الرابعة منه التي حظرت خصخصة عدة قطاعات أساسية في الدولة من بينها الصحة.

وفي الختام توقف الباحث عند الجانب الاجتماعي للخصخصة، فعند خصخصة القطاع الطبي تصبح الخدمات الطبية سلعاً في سوق العرض والطلب لها أثمان مادية يتحملها المريض، الذي قد يكون في كثير من الأحيان غير قادر على دفعها والوفاء بها، ما قد يؤخر تلقيه العلاج أو امتناعهً عن زيارة الطبيب، وهذا ما تنتج عنه «فاتورة» أخرى يتحملها المجتمع، تتمثّل في تبعات تأخر التشخيص والعلاج، وخسارة الدولة لمجهود هذا الفرد.

وعدّد الباحث التغييرات السلبية الناجمة عن ذلك على مستويات عديدة من بينها:علاقة المريض بالدولة، والشعور بالاحباط من عدم قدرة البلد التي ولد ونشأ وترعرع وعمل وساهم فيها على رعايته، وتخلي الدولة عنه عند حاجته إليها وافتقاره للأمن، وكذلك علاقة المريض بالطبيب، وشعوره بأنه «زبون»، يتعرّض لمحاولات مستمرة لإقناعه بشراء احتياجات قد لا يكون بحاجة لها «التحاليل، الاشعة.. الخ»، مما يولد شعوراً بانعدام الثقة بين المريض والطبيب، وأيضاًعلاقة الطبيب بالمريض، وتكريس شعوره بأنه «بائع» لا يختلف عمن يروّج سلعة بأي ثمن كان، وقد يرى الترويج مع مرور الوقت «واجباً» و«أساساً» في مهنته، حتى وإن كان ثمن هذا التصرف «حياة» الناس، وأخيراًعلاقة المجتمع ببعضه، وشعور الطبقة الأوفر حظاً بتميّزها عن غيرها وتفضيلها في تلقي الرعاية الصحية، وحسد الأقل حظاً لها، مما يولّد شعوراً سلبياً ولوناً من ألوان الكراهية والتمييز بين أفراد المجتمع.

حسب الباحث د. عبدالله حسين فإن سلبيّات خصخصة القطاع الطبي لا تتوقف عند هذا الحد فقط، فهي تنطوي أيضاً على إهمال لحالات المرضى الذين قد لا يدرون العائد المادي

د. هدى المحمود

أحمد الديين

د. حمد الأنصاري

فلاح هاشم

الكافي أوالوفير، ممن يعانون من أمراض ومشاكل صحية قد تكون «نادرة» بحيث لا يكون الاهتمام بها مجزياً اقتصادياً، أو قد يعانون من أمراض «شائعة» لا تدر بالربح الكافي من مداواتها، مما يعود سلباً على الفرد والمجتمع، ومن جهة ثانية تنطوي على

إهمال للمعدمين والأقل حظاً، وتكريس اعتقاد أنّ الصحة «ميزة» وليست «حقاً»، مما ينعكس سلبياً على الفرد والمجتمع كذلك.

ويضاف إلى ذلك زيادة مظاهر التفرقة الطبقيّة والعنصرية و»المناطقية»، حيث ترى الخدمات الفاخرة والنوعية التي تقدّم في مناطق اصحاب الموارد المادية العالية، وغيابها عن مناطق عامة الناس، والانعكاس المترتب على ذلك عند أفراد المجتمع.

المشهور والفارسي: الخخخصة أم السياسات النيوليبرالية

وتحت عنوان «الخصخصة بين الأوليغارشية والعدالة الاجتماعية (دول مجلس التعاون الخليجي نموذجاً)» قدّم كل من علوي المشهور وميس الفارسي، الباحثان من سلطنة عمان، ورقة تناولا فيها باستفاضة مفهوم الخصخصة وتحوّلاته، قبل أن يعرجا على تجليّات الموضوع في بلدان الخليج العربي، في مجالي الصّحة والتّعليم.

حسب الباحثين فإن «من المبررات الشائعة التي تدعو للخصخصة في الخليج، أن الحكومات الخليجية تعاني من ترهل إداري وكثير من شركاتها الحكومية والمؤسسات التابعة لها خاسرة أو معتمدة على الدعم الحكومي؛ فتكون التكلفة التشغيلية لهذه الشركات عالية، وبسبب ذلك يؤيد البعض التوجه نحو الخصخصة لتقليل التكلفة ورفع كفاءة وجودة أداء المؤسسات. ولكن في كثير من الحالات يعتمد تقليل التكلفة التشغيلية على تسريح الموظفين؛ فتزيد نسب البطالة عند المواطنين مما يخلق مشكلة اجتماعية، وغالباً لا يتم النظر إلى العواقب الأمنية والسياسية المترتبة على هذا النوع من سياسات الخصخصة وإنما يتم التركيز على الجانب الاقتصادي الربحي فقط».

واستنتج الباحثان من ذلك أنه «ليست كل خصخصة تُفضي بالضرورة إلى تعزيز كفاءة الإدارة وتقليل الإنفاق، وإنما قد تعني أيضاً التخلص من عدد كبير من الموظفين وتخفيض رواتب وأجور العمال لتحقيق مصالح الشركات الخاصة. ولهذا السبب لا يمكن تجاهل تأثير الخصخصة على السياسات الاجتماعية للدول؛ خصوصاً بعد توجه دول الخليج نحو خصخصة قطاع التعليم والصحة والمياه؛ والتي تعتبر من أهم ركائز الأهداف الإنمائية الألفية للأمم المتحدة.»

وتوقفت ورقة الباحثين عند المفارقة الناجمة من الشكوى بعدم تمكين القطاع الخاص، الذي بدوره يتهم الحكومة بخلق ثقافة عمل اتكالية لدى المواطنين من خلال توفير فرص عمل مكتبية بأمان وظيفي عالي في المؤسسات الحكومية مع بطالة مقنعة، فيما يجري غضّ النظر عن حقيقة «أن القطاع الخاص الخليجي من الإتكالية على الحكومة بل ويعيش عليها؛ إذ أنه لم يستطع بعد سنوات من الدعم الحكومي أن يتجه نحو الصناعة أو التصدير للعالم الخارجي ولازال يعتمد بشكل شبه كلي على الهبات من أراض ودعم حكومي واحتكار للوكالات الأجنبية ومناقصات لا تقوم على المنافسة الدولية والشفافية».

أشارت ورقة المشهور والفارسي كذلك إلى «أن توجه دول الخليج للخصخصة قبل أزمات النفط وجائحة كورونا كان اختيارياً؛ من أجل التكيّف مع التوجه العالمي، ولكن في ظل هذه الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تعصف بدول المنطقة قد يكون التوجه القادم اضطرارياً وفي ظروف تصبح الدولة معها غير قادرة على إيجاد ضمانات لتوفير الخدمات للجميع أو دفع التكاليف بالنيابة عن المواطنين من فئات الدخل المحدود والضمان الاجتماعي في حال خصخصتها، مما قد يعني انهيار منظومة الحماية الاجتماعية».

لاحظ الباحثان وجود تباينات في طريقة تبني دول الخليج لطرق إدارة القطاع الخاص وذلك تبعاً للغاية المرجو بلوغها من الخصخصة، «فأحد هذه الآليات هي خصخصة الإدارة وتعتبر من أفضل آليات الخصخصة التي تتبعها دول الخليج، إذ أنها تحافظ على ملكية القطاع العام للمشروع، ولكن تقوم فقط بنقل الإدارة للقطاع الخاص. أما البيع الجزئي أو الكلي لملكية منشآت العامة فتحدث بطرق عدة كبيع المشروع أو المنشأة بالكامل للقطاع الخاص بشكل مباشر، أو أن يتم بيع جزء من ملكية المؤسسة إلى القطاع الخاص، أو عن طريق طرح أسهم الشركة العامة للاكتتاب العام، أو عن طريق بيع المشاريع للعاملين، أو من خلال بيع المشاريع لمستثمر ذي خبرة بحيث يُتوقع أن يحفز ذلك الانتاجية في المشروع، وغيرها من آليات وطرق التخصيص لمنشآت القطاع العام المعمول بها في دول الخليج».

سؤال جوهري توقف عنده الباحثان هو: «كيف يمكن الموازنة بين جودة الخدمة وكونها حقاً أصيلاً؟ إذ أن الحكومات لا تستطيع أن تجبر الشركات على أن تقدّم خدمات صحيّة بجودة عالية للجميع بنفس السعر. وفي الوقت نفسه فإن بقاء الحكومات في دورها السابق من خلال تقديم الخدمات مجانا أمر مكلف، فمن المعروف أن هذا القطاع مكلف جدا، ولكن عدم وجود تدخل حكومي فيه سيؤدي إلى طبقية وظلم كبيرين. لذا فقطاع الصحة بحاجة لإعادة هيكلة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة تبني نظام الخصخصة بشكله الحالي».

وخلص الباحثان المشهور والفاسي إلى «أن الخصخصة تعدّ أحد أهم السياسات النيو ليبرالية وهي تقوم على أساس تحويل الملكيات العامة إلى ملكيات خاصة، وقد قامت دول الخليج بتتبع خطى الدول المتقدمة التي سبقتها في تبني هذا النهج لأسباب متعددة منها تقليص العبء المالي الملقى على عاتق الحكومات، وزيادة كفاءة مؤسسات وشركات وخدمات القطاع العام، بالإضافة إلى تطويرها وتوسيعها على افتراض أن القطاع الخاص أفضل في الإدارة من القطاع العام، وهكذا سعت دول الخليج منذ عقود نحو خصخصة منشآتها ولم يكن قطاعا التعليم والصحة مستثنين من هذا التحول».

وإذا كانت الخصخصة تبدو تبدوخياراً ناجعاً من الجانب الاقتصادي، فإنها حسب الورقة تخلق «وبكل تأكيد معضلة اجتماعية واقتصادية، وقد تؤدي مع الوقت إلى تفاقم الأوضاع وزيادة في الفروقات بين الأثرياء والفقراء، خصوصاً إن لم تكن هنالك استراتيجيات حكومية لاحتواء الفئات المتضررة من الخصخصة وتوفير نموذج عادل يسمح لهم بالوصول إلى خدمات ومؤسسات التعليم والصحة بشكل عال الجودة وبدون تفريق بينهم»، وهو ما حدا بالباحثين إلى التطرق لبدائل لخصخصة قطاع التعليم وتجويده، كما ذكرت مخاطر تخصيص قطاعي الصحة والتعليم ومخاوف تحوّل هذين القطاعين من حق انساني أصيل إلى سلعة رابحة في أيدي أفراد الأوليغارشية المنتفعين. وخلصت هذه الورقة إلى تفنيد بعض الآراء السائدة حيال الخصخصة ويتبين من خلال الدراسة أنها لا تؤدي بالضرورة لتحسين جودة الخدمات كما هو حاصل في قطاعي التعليم والصحة في دول الخليج.

مطرقة البرلمان

البطـالــة مشكلــة
قـائمــة تكبـر ككــرة الثلــج

إعلان الحكومة مؤخراً عن خطة التعافي الاقتصادي لم يأت من فراغ، بل انه جاء باعتباره استجابة للتعاطي مع الوضع الاقتصادي في البحرين في ظل تحسن مؤشرات التعافي العام من جائحة «كورونا» وما أحدثته من تراجعات على مدى قرابة العامين.

عبدالنبي سلمان

التعاطي السريع من قبل الحكومة مع الأوضاع الاقتصادية من شأنه أن يعطي ثقة أكبر للمستثمرين ولرجال الأعمال والمؤسسات الاقتصادية وجميع العاملين فيها، بما يضفي حالة من الاستقرار تدفع بدورها لزيادة مؤشرات النمو والانتعاش الاقتصادي، وهي خطوات تلتها سلسلة من الأخبار الجيّدة على صعيد الإعلان عن العديد من المشاريع التي توقفت بسبب الجائحة.

أمر جيّد بل ومطلوب أن توجد لدينا هذه الديناميكية للتعاطي مع مختلف التّحدّيات التي نواجهها، فبمثل ما تعاملت البحرين بذات الديناميكية لمحاصرة انتشار الجائحة، حتى استطعنا كدولة ومجتمع ان نتبوأ موقعاً متميزاً في طليعة الدول العالمية التي نجحت فيها جهود التغلب على الوباء وبتكاتف الحكومة والبرلمان ومعهما المجتمع، فإننا نستطيع أن نؤسس ومن خلال هذه الروح، لشراكة مجتمعية حقيقيّة وفاعلة للتّغلب على العديد من المصاعب والتّحديات التي نعايشها، تلك التحديات التي لا يخلو منها أي مجتمع كان في جميع ارجاء المعمورة.

ولو نظرنا إلى تلك التّحديات ومقاربتها لإمكاناتنا الاقتصادية ولحجم مواردنا المادية والبشرية تحديدا، فإننا نستطيع أن نقول وكلنا ثقة إنها تحديّات بالإمكان تحقيق نجاحات متميزة فيها إن نحن نجحنا في تحديد أولوياتنا أولاً، ومن ثم سخرنا تلك الطاقات الكامنة والمعطلة أحيانا بفعل عوامل عديدة، والتي من بينها بكل تأكيد ضرورة معالجة قضايا الفساد والحفاظ علي موارد الدولة وتسخيرها بشكل فعّال لدعم عملية التنمية، خاصة وأن رؤية البحرين الاقتصادية التي دشنت في الربع الأخير من العام2008 قد تمحورت على ضرورة تحقيق الاستدامة والعدالة والتّنافسية كمؤشرات وأهداف لمدى نجاح تحقيق تلك الرؤية.

وإذ نتحدث عن رؤية البحرين الاقتصادية وخطط الحكومة للتعافي الاقتصادي، وفي ظلّ ما يجري من حوارات في مجتمعنا حول كيفيّة تحقيق أهداف تلك الرؤية في ظل الوقت المتبقي لدينا لبلوغ تلك الأهداف بعد اقل من تسع سنوات من الآن، لابد لنا من التذكر هنا أن الإصغاء جيداً لما يدور من حوارات حول العديد من القضايا لابد ان يتم التعاطي معه بشكل مغاير واكثر إيجابية مما هو قائم حالياً.

وطبيعي أننا لا نود في هذه العجالة أن نتحدث عن مختلف القضايا، وهي كثيرة بطبيعة الحال، لكننا سنكتفي هنا للحديث عن جوهر ومغزى تحقيق اهداف الرؤية لبلوغ التنافسية والعدالة والاستدامة، وهي اهداف تستدعي التركيز علي عوامل القوة والضعف لدينا، والتي يأتي في مقدمتها وضع الطاقات البحرينية في مواقعها المناسبة كطاقات وموارد بشرية هائلة، لا زلنا نعتقد انها لم تعط ما تستحق من أولوية واهتمام، على الرغم من كثرة الحديث الذي يتم في الإعلام الرسمي حولها، لكنه حديث غير مفعل بشكل جيد على ارض الواقع، بالإضافة إلى أن هذه القضيّة لم تأخذ حقها من الأهتمام الرسمي على الرغم من وجود مشاريع قائمة بالفعل يفترض انها قد قطعت أشواطاً مهمّة منذ سنوات، إلا أن ذلك لم يحصل بكل اسف.

فمشاريع تنظيم سوق العمل التي وضعت منذ العام 2006 وما تلاها وما سبقها من مشاريع في ذات السياق لم تستطع بعد أن تجعل من قضية البطالة في صفوف أبناء الوطن قضيّة ثانويّة، فهي لا زالت قضية ذات أولوية لدى مجتمعنا الصغير، بل أنها تأتي على رأس أولوياتنا الوطنيّة التي لازلنا نبحث لها عن حلول.

إن إيجاد حلول لهذه المعضلة المتفاقمة لم يعد خياراً فقط، بل ضرورة قصوى لا بد من التعاطي معها بكل جديّة ومسؤوليّة، وبدلا من الهروب باستمرار إلى الأمام والإكتفاء برفع الشعارات التي لا تقدّمنا بل تؤخرنا كثيراً عن بلوغ الحلول المأمولة، علينا الإقرار أولاً أن ما تقدمه الجهات الرسميّة ممثلة في سوق العمل ووزارة العمل وديوان الخدمة المدنيّة من أرقام ونسب، هي ليست فقط محل جدل مجتمعي لم يتوقف، بل إنها بعدم مصداقيتها وواقعيتها تفاقم معضلة البطالة وتزيدها سوءاً وتؤخر مواعيد التوصل إلى حلول بشأنها، مما يجعلها برميل بارود لا نريده أبداً أن ينفجر في وجوه الجميع لا سمح الله، لأن كلفته الاقتصادية والاجتماعية ستكون مكلفة حينها.

لذلك تجدنا نصرّ باستمرار على أن تؤخذ قضية البطالة في صفوف البحرينيين على محمل الجد، وبكل مسؤولية، وأن لا تترك كعامل مساومة أو سجال مستمر بين مجلس النواب والمجتمع من جهة وبين الحكومة من جهة أخرى، فالجميع منا معني بإيجاد الحلول والتوافقات تجاه هذه القضية، الحكومة والتجار والقطاع الخاص والبرلمان ومؤسسات المجتمع والإتحادات العماليّة جميعهم معنيون بهذه المسألة تحسباً لمآلاتها الاقتصاديّة والمعيشيّة والأمنيّة والمجتمعيّة، وهي قضيّة ليست أبداً عصيّة على الحل، بل بإمكاننا بشيء من الجديّة وتحمل مسؤولياتنا التاريخيّة تجاهها أن ننجح في تعافي مجتمعنا السريع من انعكاساتها السلبيّة التي باتت تلوح في الأفق.. فقط نحتاج أن نعترف، أولاً، بأنها مشكلة قائمة وخطيرة باتت تكبر ككرة الثلج وعلينا إيقاف تدحرجها المخيف!

«أوف ذا ريكورد»

حين بدأت عملي في الصحافة ،تعرفت على مصطلح «خارج التسجيل – أوف ذا ريكورد» وهو تعبير يعرفه الإعلاميون والصحفيون جيداً، في كل مكان في العالم، وهو البوح الذي يعترف به المصدر للصحفي ويأمره بعدم استعماله لما قد يشكّله من خطورة عليه، أو قد يسأله تاجيله باعتبار أن الوقت أو المنصب الذي يشغله صاحب المنصب أو مصدر الخبر غير ملائم للبوح به حاليا، ولكن قد يأتي يوم ويأخذ طريقه للنشر لأن نشره يصب في خدمة المصلحة العامة، وهذا التعبير كان تعبيراً شائعاً في مرحلة قانون أمن الدولة، وقانون المطبوعات الصارم الخاضع له.

عصمت الموسوي

وفي الدول التي تتمتع بصحافة حرة، فإن الأسرار حتى وان كانت ذات أبعاد أمنية وقومية فإنها لا تظل أسراراً إلى الأبد، انما يجري الافصاح عنها لاحقاً على خلفيّة سقوطها بالتقادم، لكن ذلك لا يمنع من حصول الصحافة على مواد إعلامية دسمة وجديرة بالنشر والتحقيق والمتابعة.

وعن نفسي فقد احتفظت ببعض الأسرار الصحفية من مصادر عديدة، وقلتُ سيأتي يوما وتجد طريقها للنشر ربما ضمن كتاب يضمّ تجربتي الصحفية، وكنت ممتلئة باليقين أن الأيام المقبلة ستكون لصالح حرية التعبير في زمن تكنولوجي ومعلوماتي متسارع ولا مكان فيه للأسرار والكتمان، فالبشرية تتقدم إلى الأمام وليس إلى الخلف، واذا كنا بالأمس في أسفل قوائم الشفافية والحريات الصحفية والنزاهة، فإننا ذاهبون حتماً إلى مرحلة الإفصاح وسعة الصدر مع حرية التعبير.

ما حدث هو العكس تماماً، وصرنا نستيقظ كل يوم على واقع شديد الوطأة على الكلمة الحرّة والرأي المختلف والمغاير وتبخرت أحلام الإعلاميين وحملة الأقلام في غد صحفي أفضل، واللافت أن العالم العربي لم يحقق نقلة نوعية تذكر في الصحافة والإعلام حتى بعد التحول الرقمي الذي اجتاح العالم.

والسؤال الجدير بالطرح هو كيف حدث ذلك؟ وكيف انتزعت من الناس سلطة شعبية كانت لهم معيناً وسنداً، وقد ناضلوا وقدّموا التضحيات من أجل نيلها منذ بداية القرن الماضي بغية توظيفها كأداة للاصلاح والتغيير وتعميق الديموقراطية والاصطفاف جنباً إلى جنب مع الدول المتحضرة، وكيف صادقنا على العهود والمواثيق الدولية المعنية بالحقوق والحريات المدنية والسياسية والثقافية ثم تنصلت أنظمتنا منها أو تجاهلتها تماماً؟

وكي لا نذهب بعيداً في العموميات نشير إلى أدلة وأمثلة حيّة من واقعنا المحلي حيث جرى النكوص على المكتسبات وعدم الاستفادة من التجارب المعاشة المؤلمة والمكلفة على الوطن باكمله، فقد كان يفترض بالتقرير الأممي المهم والذي أنجزته البحرين على اثر اضطرابات 2011 أن ينقلنا من حال إلى حال أفضل، يُصلح ما تهدم، ويعيد البحرين لسكّة الديموقراطية والعدالة والمساواة والحوكمة الرشيدة بالاصلاح الحقيقي المستدام ويمنع تكرار ما حدث، اين هي توصياته الأساسية والجوهرية فيما خصّ الإعلام التعددي والمتنوع وتعديل التشريعات الصحفيّة وصولاً إلى الحوار السياسي التشاركي الفاعل والمنتج لتعميق ديموقراطيتنا الوليدة؟ ها نحن نطوي السنة العاشرة على صدوره، وكل توصياته إما جامدة أو حرى التراجع عنها بصورة كبيرة أو أصبحت مفرغة من مضمونها، بل لا تجرؤ الصحافة على مجرد التطرق إليها.

التقرير الآخر هو تقرير الرقابة المالية والإدارية الذي هو نتاج المشروع الاصلاحي لجلالة الملك والهادف إلى بسط الرقابة على أداء الوزارات والهيئات الرسمية وتبيان أوجه الخلل والفساد ومحاسبة المقصرين وابعادهم عن سدّة القرار، فبعد 18 تقريرا يفترض أن يكون لدينا نتائج رائعة وخبرة تراكمية ورشد إداري وموظفون بعيدون عن الشبهات يحذرون في كل مسلكايتهم المهنية والوظيفية من سيف ديوان الرقابة، والأهم من كل ذلك سلطة رادعة لحماية المال العام وتحليل منطقي رصين يشير إلى الجدوى والفائدة منه والمبالغ المالية المتحصلة من تطبيقه، ويقارن بين ما كنّا عليه قبل وما أصبحنا فيه بعد كل هذه التقارير؟. أليست مفارقة أن الدين العام بدأ ثم تصاعد مع مجيئ البرلمان وتقارير الرقابة؟

واللافت أن التقرير الأخير جاء في 450 صفحة، لم يسمح للصحافة بالتطرق إلا إلى 13 صفحة فقط، مشروطة بنشر ردود الوزرات لقطع الطريق على أي امكانية لطرحه للمناقشة أو التساؤل، ولقد كان التقرير ولا يزال مادة دسمة ومهمّة للصحافة، وقد تمّ تضييعه من يدها وأغلب مواده وقصصه السنوية صارت «أوف ذا ريكورد».

على أن أكبر تحدٍ تواجهه البحرين حاليا هو تصاعد الدين العام عاما اثرً آخر، ولماذا حدث ذلك، والى اين ذهبت فوائض النفط الضخمة المتراكمة وكيف انفقت؟ اسئلة مهمة لا تجد جواباً، وعودة إلى سؤالي السالف أعلاه، كيف حدث ذلك؟

حدث ذلك بعد ثورة المعلومات وانتشار الإعلام الرقمي البديل وتوفر منصّات غير خاضعة للسلطات الرسمية، اذ قبلها كانت المعلومات صعبة وغير متاحة، وحين انفجرت المعلومات المسكوت عنها وتعددت مصادرها وخرجت عن نطاق الضبط والسيطرة والرقابة، تمترست الجهات الرسميّة والاهلية المعنيّة بهذه المعلومة أو تلك خلف جدار الصمت والتجاهل و»التطنيش»، ولا يوجد قانون بحريني يلزم المسؤول بالاجابة؟، وجرى تكتيف الصحافة وشلّ يدها، وساد مناخ من اللامبالاة وعدم الاكتراث بما يطرح من تساؤلات ومعلومات تتعلق بالقضايا الجوهرية التي تهم المواطن البحريني، من تقرير بسيوني المعني بأزمتنا السياسية السابقة واللاحقة، إلى تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، إلى قضية الدين العام، الى الضرائب القادمة.

كل تلك التحديات لم تجد لها أو حولها جواباً شافياً، أو تخضع للحوار التشاركي الجاد والحقيقي والشفاف والمقنع، بل صارت أغلب قضايانا المهمة «أوف ذا ريكورد».

اليوم الدولي لمناهضة العنف ضد المرأة

١٦ يوم من الفعّاليات ضد العنف القائم على أساس النوع الاجتماعي

يحتفل العالم سنويًا في الخامس والعشرين من نوفمبر باليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، وهو احتفال عالمي يدعو لإنهاء العنف ضد المرأة بحلول عام ٢٠٣٠، ورفع مستوى الوعي بالعنف الممارس ضد النساء والفتيات، وتسليط الضوء عليه ووضع الاستراتيجيات والآليات للحد من العنف وردعه.

دينا الأمير

جاء اختيار تاريخ 25 نوفمبر كيوم لمناهضة العنف ضد المرأة على أثر الاغتيال الوحشي للأخوات ميرابال الثلاث عام 1960، وهن ناشطات سياسيات من جمهورية الدومينيكان، وذلك بناء على أوامر من الحاكم الدومينيكي رافاييل ترخيو (1930–1961).

أطلقت الأمم المتحدة في عام 1991 حملة الستة عشر يومًا لمناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي، تبدأ كل عام من 25 نوفمبر وهو اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، وتنتهي في 10 ديسمبر وهو اليوم العالمي لحقوق الإنسان، وهي حملة عالمية تهدف لمناهضة جميع أشكال العنف الموجه ضد النساء والفتيات حول العالم ومكافحته. وقد تم تخصيص اللون البرتقالي لونًا لهذه الحملة في دلالة إلى مستقبل أكثر إشراقًا، وعالم خالٍ من العنف ضد النساء.

«لون العالم برتقاليًا: فلننهِ العُنف ضد المرأة الآن» – عنوان الموضوع الذي حددتهَ حملة الأمين العام للأمم المتحدة لليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة هذا العام. وبحسب هيئة الأمم المتحدة للمرأة «تتعرض واحدة من كل ثلاث نساء إلى العنف على الأقل مرة في حياتها. وفي وقت الأزمات، هذه النسب تزداد كما أرتنا جائحة كوفيد-19 وغيرها من الأزمات الإنسانية والنزاعات والكوارث الناجمة عن تغير المناخ...إلخ. ووفقًا لتقرير جديد صادر عن هيئة الأمم المتحدة للمرأة، واستنادًا إلى البيانات التي جمعتها 13 دولة منذ تفشي الجائحة، تقول 2 من كل 3 نساء إنهن إما تعرضن أنفسهن لشكل من أشكال العنف أو يعرفن امرأة تعرضت للعنف، وإنهن أكثر عرضة لمواجهة انعدام الأمن الغذائي علاوة على ذلك، فإن واحدة فقط من كل 10 نساء تذكر أن الضحايا سيذهبن إلى الشرطة طلبًا للمساعدة».

وفي هذا السياق " يجب أن نتذكر أنه حتى وإن كان العنف القائم على النوع الاجتماعي منتشرًا فهو ليس حتميًا. يمكننا منعه، بل يتوجب منعه. وكخطوة أولى لإيقاف هذا العنف، يجب تصديق الناجيات، واعتماد نُهج شاملة وكلية تعالج الأسباب الجذرية وراء ذلك، والعمل على تحويل الأعراف الضارة وبالطبع تمكين النساء والفتيات. فبإتاحة الخدمات الأساسية التي تركز على الناجيات عبر مختلف القطاعات الشرطية والعدلية والصحية والاجتماعية، وبإتاحة التمويلات الكافية للإيفاء بأجندة حقوق المرأة، يمكننا إنهاء العنف القائم على النوع الاجتماعي".

دعت الأمم المتحدة في إعلانها بشأن القضاء على العنف ضد المرأة كل الدول إلى إدانة العنف الممارس ضد المرأة وعدم التذرع بأي عرف أو تقليد أو اعتبارات دينية وبالتنصل من التزامها بالقضاء عليه، والعمل على القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة ودون تأخير. ولفتت إلى أن معظم الانتهاكات لا تزال دون عقاب، والعديد من الضحايا لا يبلّغن بما وقع لهن خشية من وصمة العار والفضيحة.

عرّف الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة والذي وقعته الأمم المتحدة عام 1993 بأنه "أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة جسدية أو جنسية أو نفسية للمرأة بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل والإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة".

كما عرّف المجلس الأوروبي العنف ضد المرأة في العام 1986 بأنه "عمل أو إهمال يضر بحياة المرأة ويؤذى التكامل الجسدي والنفسي أو الجنسي أو حرية أي شخص أو يؤذى بشكل كبير تطور الفرد بغض النظر إن كان ذكر أو أنثى".

وعرّفت منظمة الصحة العالمية 2002 العنف الأسري بأنه "كل سلوك يصدر في إطار علاقة حميمة ويسبب أضرارًا أو آلامًا جسمية أو نفسية أو جنسية لأطراف تلك العلاقة". ويشمل العنف الأسري: عنف الزوج تجاه زوجته، وعنف الزوجة تجاه زوجها، وعنف الوالدين تجاه الأولاد وعنف الأولاد تجاه الوالدين – خاصة المسنين – ويشمل العنف الجسدي أو الجنسي أو النفسي أو الاهمال.

أما الاستراتيجية العربية لمناهضة العنف ضد المرأة (2011–2020) فقد عرّفت العنف ضد المرأة بأنه "أي فعل يقع على المرأة وينتج عنه إيذاء جسدي أو جنسي أو نفسي أو أي شكل من أشكال المعاناة مثل التهديد بهذه الأفعال أو الإكراه أو الإجبار عليها أو الحرمان من جميع الحقوق سواء وقعت ضمن إطار العلاقات الأسرية أو الاجتماعية أو المهنية".

إن العنف والتمييز الموجه ضد النساء من أهم التحديات التي تواجه الجهود الرامية لتحسين واقع المرأة وتمكينها. وعلى الرغم من المعاهدات الدولية التي أنشأت لحماية حقوق المرأة المدنية والاقتصادية والثقافية والسياسية، واعتماد القوانين التي تحظر العنف والتمييز ضد المرأة، وإنشاء محاكم ومؤسسات عامة لضمان الحماية الفعالة والفعلية للمرأة، إلا أن المرأة ما زالت تعاني من هذا الأمر، فالعنف ظاهرة اجتماعية عالمية وفي تزايد في السنوات الأخيرة، وساهم استمرار النزاعات المسلحة والحروب والإرهاب والتطرف، وغياب حماية النساء والفتيات وعدم الاستقرار والأمن، في ارتفاع حالات العنف، حيث تتعرض المرأة للتشريد القسري والاعتقال والاغتصاب والزواج المبكر أو الزواج بالإكراه وانقطاع الرعاية الصحية والتعليم والاتجار بالنساء واستغلالهن. وجاءت جائحة فيروس كورونا المستجد لتزيد من ممارسات العنف ضد النساء والفتيات في ظل ظروف الحجر المنزلي.

وفي معظم الدول العربية تغيب قوانين الحماية من العنف الأسري، عدا بعض الدول ومنها البحرين التي أقرت قوانين خاصة لحماية المرأة من العنف الأسري، فقد صدر قانون الحماية من العنف الأسري البحريني رقم (17) سنة 2015، وعرّف العنف بأنه «كل فعل من أفعال الإيذاء يقع داخل نطاق الأسرة من قبل أحد أفرادها (المعتدي) ضد (المتعدي عليه)»، إلا أن هذا القانون به العديد من الثغرات، حيث أنه لم يشمل التهديد بالإيذاء، وخلا من وجود العقوبة ضد مرتكب العنف الأسري، ولا يجرّم الاغتصاب الزّوجي، وخلا من عقوبة أو تحميل الزّوج لأيٍّ مسؤولية إذا مارس العلاقة الزوجية مع زوجته كرهًا أو غصبًا.

للموروث الاجتماعي والثقافي في مجتمعاتنا العربية دور في عدم الإبلاغ عن حالات العنف الممارس على النساء، لذا تغيب الاحصاءات الدقيقة حول العدد الحقيقي للمعنفات، وللحد من العنف الممارس ضد النساء والفتيات يجب الاهتمام بهذه القضية ودراسة الظاهرة وأسبابها ومعالجتها، والتشديد في تطبيق القوانين المتعلقة بالعنف الأسري ومحاسبة وملاحقة مرتكبيه وتغليظ العقوبة عليهم. كما تبدأ الوقاية من العنف عبر توعية المرأة بحقوقها، ووضع الخطط والاستراتيجيات لتمكين المرأة وتعزيز دورها في المجتمع ومساواتها مع الرجل. وللمناهج الدراسية والإعلام دور مهم في تغيير صورة المرأة النمطية وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن دورها ومكانتها في المجتمع، وتوعية المجتمع بمخاطر العنف وآثاره الاجتماعية والصحية والاقتصادية.

الأوساط التقدميّة تودع السنديانة الأردنيّة سلوى زيادين

إيمان شويطر

كنت في زيارة للعاصمة الأردنيّة، عمّان، لحضور إجتماع الشبكة النسوية العربية (رؤى) حين جاء خبر وفاة المناضلة الأردنية سلوى زيادين (أم خليل) وذلك في ٢٤ أكتوبر ٢٠٢١ عن عمر ناهز المئة عام، حيث نعتها منسقة الشبكة الأستاذة نادية شمروخ مستذكرة تاريخها السياسي والنضالي وصوتها العالي في الدفاع عن قضايا المرأة، فسيرة سلوى زيادين ليست اعتيادية، فهي أول امرأة أردنية تنضم لحزب سياسي، وهي من أبرز قادة الحركة النسائيّة الأردنيّة والحزب الشيوعي الأردني.

ولدت سلوى زغيب في دمشق لأسرة لبنانية عام 1921، بدأت دراستها هناك وثم انتقلت إلى بيروت بعد حصولها على منحة لتفوقها، تعرفت صدفة على الناشط الشيوعي الأردني يعقوب زيادين أثناء دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت، حيث عاشا بعد زواجهما عام 1950 في القدس الشرقية بسبب عمل يعقوب كطبيب هناك.

تعرضت سلوى للسجن أول مرة في حياتها عام 1952، عندما شاركت في مظاهرة بعمّان دعماً للشعب العراقي، والمرة الثانية كانت بعد اعتقال زوجها بعد الانتخابات النيابية عام 1954، فتمّ نفيها مع أولادها الإثنين إلى قرية السماكية في الكرك، حيث عاشت هناك ظروفاً صعبة.

لم يدم خروج يعقوب من السجن طويلاً، رغم فوزه بانتخابات عام 1956 ممثلاً عن القدس، فاعتقل مرة أخرى عام 1957، واضطرت سلوى للهرب مع أولادها إلى عمّان وبعدها إلى دمشق، وانتقلت بعدها للعيش في برلين الشرقية بعد قبولها عملاً مع الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، وكان الوضع هناك أيضاً صعباً بعد انقسام ألمانيا لشطرين في أعقاب الحرب العالمية الثانية، إذ تذكر سلوى مرة وقوفها بالبرد القارس لمدة ثلاث ساعات للحصول على دجاجة لإطعام عائلتها. عادت العائلة إلى الأردن بعد قضاء زوجها ثماني سنوات متواصلة في سجن الجفر بنهاية عام 1965، ولم تشارك سلوى زوجها حياتهما العائلية فحسب، وإنما شاركته أيضاً، وعلى مدى خمسة وستين عاماً (توفي يعقوب عام 2015) نضاله والمبادئ التي آمن بها وضحى من أجلها.

قبل وفاتها بشهرين وفي أمسية 27 أغسطس 2021 إحتفت جمعية معهد تضامن النساء الأردنية، بمئوية سلوى زيادين كشاهدة وذاكرة لتاريخ الأردن السياسي والاجتماعي، عقدتها الجمعية في إطار مشروعها "بيت الخبرة لكبيرات وكبار السن".

ارتأيت أن أعتمد في تغطيتي لتاريخها النضالي على هذا الإحتفاء، لأنه يغطي مختلف محطاتها النضالية على لسان قامات قيادية أردنية نسائية كنّ جزءاً من تاريخ ومسيرة الأستاذة زيادين وهن: من أدارت الأمسية الرئيسة التنفيذية للجمعية أسمى خضر ورئيسة اتحاد المرأة الأردنية الأستاذة آمنة الزعبي والأمينة العامة لحزب الشعب الديمقراطي الأردني الأستاذة عبلة أبو علبة.

وقالت خضر إن زيادين من الرائدات اللواتي عرفن ان قضية المرأة لا تنفصل عن قضايا المجتمع، فقادت النضال مع زميلاتها إملي بشارات وقيادات من مؤسسات اتحاد المرأة الأردنية وعملن معا لاكتساب النساء حقهن الانتخابي وهن

زمرة النساء اللواتي زرن رئيس الوزراء الأب سمير الرفاعي وطالبنه بإقرار حق المرأة بالمساواة والانتخاب والترشح.

وأضافت الأستاذة خضر " القامة زيادين من الرائدات اللواتي مهدن الطريق الوعر أمام المرأة الأردنية، وصمدن كثيرا، وقالت "نتذكر قرية السماكية والكرك والمناضلات اللواتي كن من أوائل السجينات السياسات في الوطن العربي "مشخص وبندر المجالي" اللواتي حجزن في سجن معان بسبب مناهضة ومقاومة الحكم العثماني". وتزيد الأستاذة خضر "النساء كنّ حاضرات بكل المفاصل الرئيسية للدولة الأردنيّة».

وقالت الأستاذة عبلة: «رافقت سلوى بعملها عندما تأسس اتحاد المرأة الأردنية بالعام 1974، وسبقتني الى تأسيس الحركة النسائية الأردنية المنظمة، وهذه مسالة ثمينة في حياة الشعب الأردني والحركة الوطنية في ظل ظروف عربية ووطنية شديدة الصعوبة، وحتى وهي بغربتها ساهمت بإصدار مجلة (نساء العالم) الناطقة باسم الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي (أندع)، وأسهمت مع نساء العالم ممثلة عن نساء الأردن في إصدار المجلة وفي تأسيس الحركة النسائية الديمقراطية العالمية.»

وتستذكر الأستاذة عبلة تاريخها مع السيدة زيادين ولقاءاتهما بقولها "بيت السيدة زيادين جمعنا، وكنا نتبادل الخبرات والآراء والخطوات والبرامج، وقد استضاف بيتها العديد من القيادات النضالية والرموز السياسية الأردنية ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر: المرحوم سليمان باشا النابلسي وقيادات الحزب الشيوعي الأردني، وجلها قيادات ساهمت في تأسيس النقابات العمالية ومؤسسات جماهرية دافعت عن ديمقراطية الشعب الأردني، وأضافت "القيادية زيادين تركت تراثا كبيراً، نعتز به ويجب أن يكون جزءاً من المنهاج المدرسي الأردني، يدرس للأجيال برموزه ومحطاته».

أما الأستاذة آمنة الزعبي فتصف زيادين بأنها سنديانة شاهدة على تاريخ مهم، انخرطت وأثرت وصنعت الكثير في النضال السياسي والنسوي، وتقول "تجربتها النضالية تؤكد على أن النساء صانعات التغيير لتحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص"، مضيفة: "ما نزال نستلهم الدروس والعبر من مسيرتها ومسيرة اللواتي أسسن الإتحاد، ومن هذه الدروس أن الوعي بقضية الوطن وتحرر المرأة ونيلها حقوقها مرتبط بتحرر الأوطان التي ما زالت تعاني من الإستيلاء والإقصاء للنساء بتهميشهن من المجال العام، وربط الوعي بالقضية الفلسطينية وتداعياتها وتأثيره العام على قضية المرأة.

وتستذكر الأستاذة الزعبي رحلة القيادية زيادين وصوتها العالي في الدفاع عن قضية المرأة والنساء الفلسطينيات ومعايشتها والمرحوم زوجها الواقع الفلسطيني أثناء وجودهما فترة من الزمن بالقدس. وتشير الى أن زيادين وعملها مع المجتمع والنساء ساعدها في تلمس الواقع وجعلها تمضي قدما حيث ساهمت بالعام 1974 في تأسيس إتحاد المرأة الأردنيّة وتركت وزميلاتها بصمات بتاريخ الأردن وتاريخ الحركة النسائية ونيلهن الكثير من الحقوق.

وأضافت: "ونحن نبحث في سجلات الاتحاد وجدنا أن الهيئة الإدارية – التي كانت من عضواتها- رفعت خطاباً حقوقياً قوياً في موضوع حقوق المرأة يتضمن مطالبات أكثر جرأة وصراحة مما نطالب به الآن، والمفارقة أن تلك المطالبات كانت تحظى باهتمام وتقدير المجتمع وقبول رسمي إلى حد ما، وكانت هناك استجابات في إشراك النساء في الحياة السياسية».

وتعلق الأستاذة الزعبي "معظم تلك المطالب الحقوقية كانت منسجمة مع النضال السياسي فالنضال منظومة واحدة لا يتجزأ وأوطاننا بحاجة إلى نضال بكل المستويات».

الآثار السلبيّة لوصفات صندوق النقد الدولي

تمر العديد من الدول العربية بأزمات اقتصادية حادة تدفعها إلى وضع إستراتيجيات لتخطي هذه الأزمات، فتجد نفسها تتجه إلى المؤسسات الدولية وأبرزها صندوق النقد الدولي للحصول على المساعدات المالية والقروض في خطوة تزيد من فشل هذه السياسات وتزيد من العبء على عاتق هذه الدول، فيكون التقشف وانهيار العملة والنسب القياسية للتضخم أهم ملامح الإجراءات الإقتصادية المرتبطة بأي برنامج إصلاحي اقتصادي يعمل تحت مظلة صندوق النقد الدولي، الذي يلجأ بدوره إلى وضع شروط صارمة للموافقة على دعم الدولة، فيرى البعض هذه المؤسسة متغطرسة بتعاملها، تسعى لفرض إرادتها على الدول بدون اعتبار للظروف الداخلية لكل دولة، فاورثت شعوبها فقراً مدقعاً، وعوزاً في بعض الأحيان ناتجاً عن سياسات التقشف الذي تفرضها ورفع الدعم الحكومي عن السلع ولا سيما الأساسية وتسريح العاملين.

فهد المضحكي

وقد يتفق الأغلبية على أن الاثار السلبية لدخول الصندوق في أية دولة متشابهة إلى حد كبير. ولكن وبكل تأكيد، كما ذكرت ربى بوغادر في مقال نشر على موقع «الاقتصاد»، فإن الصندوق لا يتعامل معاملة واحدة مع كل الدول التي تطلب الدعم منه، فأحيانا يكون سخياً ويوافق على برامج إصلاحية لا تتضمن إجراءات تقشفية حادة كالمعتاد، وأحيانا أخرى لا يكون بنفس درجة السخاء، بل يفرض كذلك شروطا قاسية، على الرغم من حاجة الدولة الماسة لهذا الدعم.

ومن الواضح أن سخاء هذا الصندوق لا يظهر في الشرق الأوسط، والتجارب خير دليل فالكثير من دول المنطقة عملت في السابق، أو تعمل حاليا على برامج إقتصادية تحت مظلة الصندوق، الذي يتعامل بدوره معها بحزم ويفرض شروط قاسية، أججت الإحتجاجات الشعبية المنددة بالواقع المعيشي وبتدهور الأوضاع المعيشية، ولعل تجربة مصر وتونس والأردن والسودان خير دليل، لكن في المقابل ثمة تمييز واضح في معاملة صندوق النقد الدولي مع الدول. أي يمنح الصندوق القروض لدول دون أخرى.

ووفقا لتحليل الخبير الاقتصادي الاردني مازن مرجي أن الدول العربية الفقيرة وخاصة تلك التي ليس لديها ثروة نفطية أوخلافه تغنيها عن الاقتراض الخارجي مثل تونس ولبنان، فإنها ونتيجة ما تعانيه من مشكلات إقتصادية متفاقمة بسبب السياسات والبرامج الاقتصادية والمالية والنقدية وحتى السياسية والاجتماعية غير السليمة والتي أدت إلى تراجع مستويات المعيشة وضعف الإنتاجية وغياب القدرة على إستغلال ما تتمتع به من ثروات أو موارد طبيعية وبشرية بل والإخفاق في إحداث التنمية الإقتصادية المناسبة وتحقيق نسب النمو الضرورية للمحافظة على حيوية الاقتصاد وقدرته على خلق الفرص الاستثمارية اللازمة للتوسع في الإنتاج ومن ثم خلق فرص العمل وزيادة قيمة الصادرات.

أدى كل ذلك، إضافة لتفشي الفساد على أشكاله في كل جوانب الحياة العامة الاقتصادية والإدارية والاعباء غير المحدودة التي فرضتها الصراعات الإقليمية والعالمية بتلك الدول إلى طرق أبواب البنك وصندوق النقد الدوليين، لاستجداء القروض والمساعدات تحت جو من خداع النفس بأن الحل السحري هو في جعبة تلك المؤسسات الدولية التي أنشئت أصلا خدمة لسياسات ومصالح اقتصاديات الدول الغنية القوية التي تسيطر وتسير عليها وتستخدمها في تحقيق غايتها واغراضها الوطنية على حساب الدول الفقيرة.

ولذلك ثمة معضلات رئيسية وخطيرة أصبحت تلازم اقتصاديات هذه الدول الفقيرة ومن ضمنها دول عربية عديدة، حيث الفقر والبطالة والتضخم والعجز في الموازنة، وتراجع القوة الشرائية بسبب تدني الأجور ونسب التضخم غير المسبوقة التي جعلت من تحقيق أي نمو اقتصادي إيجابي واضح ضرباً من المستحيل.

أدى كل ذلك إلى تبني هذه الدول لسياسات وبرامج قاسية فرضها عليها صندوق النقد الدولي، مقابل اغراقها بالديون، حيث تراكمت القروض لتصل المديونية الخارجية والداخلية منها إلى نسب وصلت إلى ما يقارب مئة بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي، وكل ذلك تحت مسمى الإصلاح وتبنت سياسات جبائية عميقة أدت إلى زيادة الضرائب وتنوعها بشكل قصف ظهر مواطني تلك الدول الذين حرموا من الحصول على دعم لحاجتهم الأساسية من غذاء ودواء وتعليم وبنى تحتية.

إن الدول العربية وغيرها من الدول التي ارتمت في أحضان صندوق النقد الدولي، وباقي المؤسسات المالية والبنوك العالمية تحت حلم التخلص من المشكلات الإقتصادية ألتي تعاني منها من جانب وطمعاً لتحقيق النمو الاقتصادي المطلوب الذي يمكنه المساهمة في التنمية المستدامة ومن ثم الازدهار، لكن ثبت وبصورة لا تدع مجالا للشك بأن هذا النهج قد فشل في تحقيق الاصلاحات المطلوبة، وأن يكن قد نجح في منع الإنهيار في جوانب محددة أوفي التخلص مما سمي بعض التشوهات في هياكل وآليات العمل المالي والاقتصادي والسياسات النقدية، إلا أن النتيجة الأبرز التي تحققت لشعوب الدول المقترضة هي المديونية العالية، أي أصبحت سياسات الاقتراض هي عبء ثقيل جدا، نجمت عنها نسب عالية من البطالة ومستويات الفقر، وكذلك أدت إلى تآكل المداخيل وإنهيار أو تراجع القوة الشرائية للعملات الوطنية، وتهاوى معدلات صرفها مقابل العملات الصعبة.

ويبدو مما سبق، أن تعامل صندوق النقد الدولي مع الدول الأعضاء يرتكز بالدرجة الاولى على أهمية هذه الدول أو تلك في خدمة مصالح الدول الممولة والمسيطرة على هذه المؤسسة وأيضا على عمق المشاكل والمصاعب الاقتصادية التي تعاني منها الدول، وبالتالى مدى تعاونها او استعداد حكوماتها لقبول اشتراطات الصندوق وقدرتها على تمرير وتطبيق التشريعات وتبني السياسات التي تخضع مواطنيها لإرادة الصندوق وبالتالى القدرة على إطفاء أي احتجاجات او معارضة شعبية محتملة مما يتيح له الوصول إلى مآرب وغايات القوى العالمية ذات المصلحة والنفوذ في هذه الدول الفقيرة او التي تم توريطها واستغلالها، وبالتالي استلاب إرادتها وقرارها الوطني المستقل.

من ذاكرة أيام الشبيبة

اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي

قاسم الحلال

عشنا سنوات ناضلنا فيها بنشاط وهمة في الزمن الذي كانت فيه الشعوب تتحرر بوتائر متسارعة، وكانت أخبار الانتصارات في العالم تصلنا. كنا نفرح حينما نسمع خبراً بانتصار ثورة وطنية أو فوز لقوى التحرر الوطني التقدمية الديمقراطية أو نجاح لقوى الطبقة العاملة في أي بلد. أيامها كان الصراع واضحاً بين الشعوب وبين من يعاديها، حتى بعد هزيمة الفاشية في الحرب العالمية الثانية، حيث كان الصراع مع بقاياها وأذنابها من أصحاب المصالح خوفاً على مصالحهم وجشعهم.

كنا نحرص من جانبنا كقوى وطنية على تلاحمنا الأممي، حيث عقد اجتماع مجموعة وطنية معادية للفاشية من 63 دولة في القاعة الشهيرة (البرت هول) Elbert Hall في لندن في العاشر من نوفمبر 1945، وقرروا أن ينشؤوا منظمة عالمية أممية دون التمييز في الجنس أو القومية أو اللون أو الدين، والتحالف بين شعوب العالم للدفاع عن السلام العادل والقضاء على الفقر والظلم والبطالة والتشرد وسواها من مظالم.

وبقى اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي سنيناً يقارع الإمبريالية والفاشية بمنظماتها التي أسندتها الإمبريالية الأمريكية للحرب على قوى التحرروالسلام، وكان الاتحاد علامة ساطعة تنير دروب الشعوب ويقظة للشباب السائر نحو العلم والمعرفة والوعي الاجتماعي، حيث كانت قيادته تجتمع كل ثلاث سنوات، أما الجمعية فتجتمع مرة كل سنة، هذا عدا الاجتماعات الطارئة، وله هيئة عمل تضم الرئيس ونائبه وأمين الصندوق ومكتب سكرتاريا.

يُصدر الاتحاد العديد من النشرات التي لا تحضرني أسمائها للأسف، لكن (المجلة) كانت هي الصحيفة الرسمية التي تعرفنا عليها هنا في البحرين من خلال مهرجانات السلام العالمية التي تقام في جمهورية المانيا الديموقراطية آنذاك التي كانت حصناً عظيماً للثقافة، وبعدها صرنا نشتريها من المكتبات، وقد أمدّتنا بالثقافة وتبادل المعلومات، وكانت مجلة (المجلة) توزع بجميع اللغات في جميع أنحاء العالم، ومن ضمنه الوطن العربي، فكانت منارة لثقافة الشعوب.

من المؤسف أن هذه المهرجانات الثقافية للشبيبة الديمقراطية قد تلاشت اليوم، ونأمل أن نشهد ولادة اتحاد شبيه له يكون أقوى.

بصراحة

أمريكا والهيمنة على العالم

فاضل الحليبي

لا يمكن للإمبريالية بفكرها الأيديولوجي والعقائدي أن تكون رسولاً للسلام أو داعية إليه، فهي تمارس دورها المقرر سلفاً بفرض الهيمنة والسيطرة وبالقوة العسكرية أو فرض الحصار الاقتصادي والمالي على الشعوب والبلدان التي لا يروق لها نهجها في السياسة والاقتصاد، كما أنها لا يمكن أن تسمح لقوى أخرى بالتفوق عليها، وهنا أتحدثُ عن الإمبريالية الأمريكية المعاصرة كقوة عظمى في القرن الواحد والعشرين هي التي تمارس كل الأعمال العدوانية والأنشطة الخبيثة وتضحي بالحلفاء من أجل مصالحها، مبدؤها واضح وصريح؛ مصالح أمريكا أولاً وإنْ تعارضت مع مصالح الأصدقاء والحلفاء فذلك لايهمها. فتُّش عن الحروب والأزمـات سوف تجد الولايات المتحدة الأمريكية موجودة فيها أو هي من أشعلها، كما أن أغلبية المنظمات الإرهابية حول العالم هي التي أوجدتها.

يمكن العودة إلى تصريحات القادة والمسؤولين الأمريكيين خلال العشرين السنة الماضية، فلم تعد هناك أسرار يخفونها، وهم يتحدثون عن تأسيس "القاعدة» بزعامة أسامة بن لادن لمواجهة السوفييت في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، وتجميع "المجاهدين العرب الأفغان" هناك، وبعد انتهاء الحرب الأولى وخـروج السوفييت من أفغانستان في عام 1988/1989عـادوا إلى بلدانهم "للجهاد" وخلق الفوضى والتخريب.

وبعد إسقاط نظام صدام والإحتلال الأمريكي للعراق في إبريل من عام 2003، أسَّست العديد من المنظمات الإرهابية كان أبرزها "داعش" التي احتلَّت العديد من المدن العراقية في عام 2014 وأقامت عليها ما يسمى ب»دولة الخلافة الإسلامية» التي امتدَّت إلى مدن سورية قرابة ثلاث سنوات لعام 2017 ، وبعد أن حررت القوات العراقية والحشد الشعبي في العراق والجيش السوري وحلفائه والقوات الكردية في سوريا تلك الأراضي، أسَّست واشنطن قواعد عسكرية لها في العديد من المناطق السورية وبسطت سيطرتها على آبار النفط السوري وسرقته، مخالفة لكل القوانين والمعاهدات الدولية، وهكذا دمّرت العراق وسوريا وأضعفت قدرات جيشيهما القتالية وبنيتهما التحتية وأسَّست نظام المحاصصة الطائفية والعرقية في العراق، ولازال الشعب العراقي يدفع الثمن غالياً.

كذبة كبيرة روجت لها الإمبريالية بقيام النموذج الكوري للنظام السياسي في العراق على غرار كوريا الجنوبية، بعد سنوات من الدكتاتورية والاستبداد على يد نظام صدام، وإذا بها تنشر الفوضى والتخريب والقتل والإرهاب، فضلاً عن الفساد وسرقة المال العام والتدخلات الخارجية لمعظم دول الأقليم والتي لم تعد خافية على أحد، على حساب مصالح الشعب العراقي واستقراره الأمني والاقتصادي والاجتماعي، وتفرض حصاراً على سوريا تحت "قانون قيصر".

تريد واشنطن دولاً وجيوشاً ضعيفة في البلدان العربية لصالح التفوق العسكري للحليف الإستراتيجي، الكيان الصهيوني، فهي من يقف وراء كل حروب المنطقة، بهدف إضعاف البلدان العربية واستنزاف خيراتها وجعلها غارقة في ديونها المالية ومشاكلها الداخلية وفرض شروط ذراعيها الماليين: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي الكارثية على بلداننا.

ولازالـت تواصل حصار كوبا منذ ستين عاماً، وتعيق التّحوّلات نحو بناء الاشتراكية في فنزويلا وبعض دول أمريكا اللاتينية التي تحكمها أحزاب يسارية، وفرض وصاياها على أغلبية الـدول الأوروبية، واليوم تسيطر على العديد من بلدان العالم ليس فقط من خلال حروبها العدوانية العسكرية أو أجهزتها الاستخبارتية والمنظمات الإرهابية التابعة لها حول العالم، ولكن من خلال السيطرة واحتكار التكنولوجيا وتطورها التقني والفني في السنوات الأخيرة في عالم المعرفة، وعبر ما يعرف اليوم بالذكاء الاصطناعي، الذي تسخره لفرض أجندتها على بلدان العالم، بعد أن سيطرت على وسائل ال»سوشيل ميديا» بكل أنواعها وفروعها ومحاربة المنافسين لها في هذا المجال، وخاصة الصين وروسيا.

وفي كلمات فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم كافة وسائل الهيمنة، بما فيها القوة العسكرية، من أجل اخضاع العالم لنفوذها، والسعي لعرقلة نشوء عالم متعدد الأقطاب، لا تعود هي وحدها الآمرة والناهية فيه.

الحرب البارِدة الجديدة على الصين – ٣

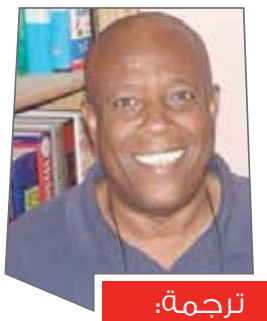

ترجمة:
غريب عوض

«النظام المُستند على القواعد والأحكام» والإستراتيجية الإمبريالية الأمريكية الجديدة الكُبرى

المُنظِر الأمريكي الأول للنظام الدولي القائم على القواعد والأحكام هو G. John Ikenberry، أُستاذ السياسة والشؤون الدولية في جامعة برينستون وعضو مجلس العلاقات الخارجية، الذي كان لِعمله تأثيراً قوياً على إدارة الرئيس جو بايدن. في مقال شهير في عام 2004 حول "الليبرالية والإمبراطورية"، على الرغم من عدم إنكار Ikenberry أن ماضي الولايات المتحدة وحاضرُها قد تميّز في كثير من الأحيان بالهيمنة الإمبريالية (حتى أنهُ ذهب إلى حد الاستشهاد بمؤرخين يساريين رائدين مثل William Appleman Williams و Gabriel Kolko و Joyce Kolko) مع ذلك جادل بقوة ضد أولئك الموجودين في دوائر السياسة الخارجية الأمريكية الذين اعتقدوا أن الولايات المتحدة يجب أن تتعامل علانية مع نفسها على أنها إمبراطورية. وجادل Ikenberry في ذلك الوقت بأن استراتيجية الهيمنة الأكثر فاعلية تتمثل في الإستفادة من اللحظة أحادية القطب لتأسيس نظام دولي قائم على القواعد والأحكام من شأنه أن يُؤمّن الهيمنة الأمريكية والغربية على العالم كأمر واقع في المُستقبل، حتى في مواجهة الإنحدار النهائي لقوة الولايات المتحدة.

عندما أصبح صعود الصين التاريخي أكثر وضوحاً، كتب Ikenberry مقالاً عام 2008 في مجلة الشؤون الخارجية حول "صعود الصين ومستقبل الغرب"، أصرَ فيه على أن "النظام الرأسمالي المُعولم" والنظام الدولي الليبرالي الغربي يمكن الحفاظ عليهما فقط إذا أفسحت الهيمنة الأمريكية المُباشرة المجال للنظام القائم على القواعد والأحكام الذي يفرضهُ الثقل الجماعي للولايات المتحدة مع حُلفائها الرئيسيين. وبهذهِ الطريقة، يمكن تأمين نظام ليبرالي مُهيمن بقيادة الولايات المتحدة إلى أجل غير مُسمى. كما قالت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون، كان من الضروري منع ظهور "عالم مُتعدد الأقطاب" من خلال إنشاء "عالم مُتعدد الشُركاء" بدلاً منهُ، وهو مجموعة من التحالُفات والشراكات التي تقودها الولايات المتحدة والتي من شأنها أن تضمن استمرار هيمنة واشنطُن في القرن الواحد والعشرون.

وجد هذا المفهوم للنظام القائم على القواعد والأحكام كوسيلة لتنظيم ثورة مُضادة عالمية دعماً قوياً من الحزبين في الولايات المتحدة، والأهم من ذلك، داخل البنتاغون وزارة الدفاع الأمريكية. فبالنسبة لوزير دفاع الرئيس ترامب، James N. Mattis (المعروف بإسم Mad Dog Mattis)، في حديثه إلى وزراء الحكومة ورؤساء الأركان المُشتركة في 20 يوليو 2017، "كانت أعظم هدية تركها لنا الجيل الأعظم هي القواعد والأحكام القائمة على النظام الدولي بعد الحرب، وهو ما أوضحه بالإشارة إلى "التمثيلات الملونة لحلف شمال الأطلسي، وأسواق رأس المال، والصفقات التجارية المُختلفة التي وقعت عليها الولايات المتحدة،" ليس من أجل القانون الدولي بالتأكيد، وليس نظام الأمم المتحدة، بل بالأحرى من أجل النظام الليبرالي الإستراتيجي الدولي الذي تُهيمن علية الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي.

وبالتالي، فإن المركزية في المفهوم الكامل للنظام الدولي القائم على قواعد الهيمنة وفقاً لرأي Ikenberry، هو التغلُب على نظام قائم على الأُمم المتحدة موجه نحو المُساواة في السيادة بين الدول والعالم مُتعدد المراكز، والذي يضم الصين و روسيا كعضوين دائمين في مجلس الأمن. وبدلاً من ذلك، فإن النظام الدولي القائم على القواعد والأحكام يهدف إلى تقنين التغييرات التي أُدخلت في التسعينيات، وأنشأ "الطابع العرضي للسيادة"، بحيثُ يكون للقوى العُظمى حقاً وحتى إلتزاماً أخلاقياً بالتدخل في الدول المُضطربة لمنع الإبادة الجماعية والقتل الجماعي. وكتب قائلاً، "أن تدخُلات حلف شمال الأطلسي في منطقة البلقان والحرب ضد صربيا، هي أفعال مُحددة من هذا النوع." وأصبحت عقيدة الإمبريالية الإنسانية القائمة على "الحق في الحماية" مفتاحاً لتعريف النظام الدولي القائم على القواعد والأحكام.

تم توضيح هذه الفكرة للطابع العرضي للسيادة من قِبل Richard Haass، نائب سكرتير الدولة لسياسة التخطيط في رآسة George W. Bush والرئيس الحالي لمجلس العلاقات الخارجية، الذي شرح بأن التحول إلى مفاهيم أكثر محدودية للسيادة يعكس وجهة النظر المُهيّمنة الجديدة بأن "السيادة ليست شيكاً على بياض. بل أن الوضع السيادي يتوقف على وفاء كلُ دولة ببعض الإلتزامات الأساسية، سواء تجاه مواطنيها أو تجاه المجتمع الدولي. وحينما يتعذر على نظام ما الوفاء بهذهِ المسؤوليات أو يُسيء إلى صلاحياته، فإنهُ يُخاطر بمصادرة إمتيازاتهِ السيادية، بما في ذلك، في الحالات القُصوى، حصانتهِ من التدخل المُسلح. وحين يعود الأمر إلى التدخل المُسلح، كما جادل Haass في مكان آخر، فإن الولايات المتحدة هي "عُمدة" النظام الدولي المُعيّن ذاتياً، في حين أن ما تبقى من الثالوث هو "حشد." بالرغم من أن الولايات المتحدة اشتكت مؤخراً من العدون الصيني وتهديده العالمي المتزايد، نظراً لقاعدتها العسكرية الأجنبية الوحيدة الموجودة في جيبوتي في أفريقيا، فإن واشنطن بصفتها العمدة العالمية لديها ما يصل إلى ألف قاعدة عسكرية مُنتشرة في جميع أنحاء العالم، والعديد منها يُحيط بالصين.

لقد تمّ استخدام عقيدة النظام الدولي القائم على القوانين والأحكام لتبرير التدخلات العسكرية المستمرة للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي والإنقلابات العسكرية التي ترعاها الولايات المتحدة والموجه ضد السُكان في خمس من القارات الست المأهولة مُنذُ تسعينيات القرن الماضي – كلُ ذلك بإسم نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان. يُشير Ikenberry، أقوى

بقلم:
John Bellamy Foster

مدافعاً فكري عنها، في أحدث أعماله، إلى أن "الأُممية الليبرالية"، "مُتورطة في التدخلات العسكرية المستمرة تقريباً خلال حقبة الهيمنة الإمريكية العالمية"، بينما في ظل النيوليبرالية، أصبح النظير الإقتصادي لهذا الأمر مُجرد "منصة لقواعد ومؤسسات المُعاملات الرأسمالية"، لصالح القوى الموجودة دائماً .

جمهورية الصين الشعبية: قوة عُظمى ذات سيادة صاعِدة

أشار كارل ماركس وفريدريك إنجلز إلى ولادة «الإشتراكية الصينية» في تعليقهما في يناير 1850 على التحركات الأولى لثورة تايبينغ (1850–64) في الصين، وأشارا إلى أن الرجعيين الأوروبيين قد يصلون بجيوشهم يوماً ما إلى حدود الصين فقط «ليجدوا هذا النقش هُناك: «جمهورية الصين.. حُرية، عدالة، آخاء».

كانت الرؤية الثاقبة غير العادية لماركس وإنجلز سابقة لأوانها لقرن من الزمن. بعد ستُ سنوات من كتابتهما لهذا، هاجم الجيشان البريطاني والفرنسي الصين مرة أُخرى في حرب الأفيون الثانية، مُستغلين الفوضى التي أحدثتها ثورة تايبينغ لتمديد فرض أوروبا للمُعاهدات غير المُتكافئة على الصين. لقد بنوا هذا على عملية بدأها البريطانيون في حرب الأفيون عام 1839، والتي اضطرت الصين في نهايتها إلى التنازل عن هونغ كونغ لبريطانيا بموجب مُعاهدة نانكينج في عام 1842. أدخلت حرب الأفيون قرن الذُل في الصين والتي استمر حتى انتصار الثورة الصينية عام 1949 وتأسيس جمهورية الصين الشعبية.يُنظر إلى فترة الإذلال على أنها انتهت أخيراً بخطاب ماوتسي تونغ "لقد وقف الشعب الصيني"، فَي 21 أيلول/سبتمبر 1949، وهو خطابه الإفتتاحي في الجلسة العامة الأولى للمؤتمر الإستشاري السياسي للشعب الصيني. في تلك المناسبة، أعلن الزعيم ماو:

لقد قام الشعب الصيني، الذي يُشكّل ربع البشرية، بالوقوق الآن. لطالما كان الصينيون أمة عظيمة وشجاعة وكادِحة؛ لم يتخلفوا عن الركب إلا في العصر الحديث. وكانَ هذا كُلُهُ بسبب الإضطهاد والأستغلال من قبل الإمبريالية الأجنبية والحكومات الرجعية المحلية. لأكثر من قرن من الزمان، لم يتوقف أجدادُنا عن خوض نِضالات لا هوادة فيها ضد القامعين المحليين والأجانب، بما في ذلك ثورة عام 1911 بقيادة الدكتور صن يات صن، رائدنا العظيم في الثورة الصينية ... لقد ضممنا صفوفنا وهزمنا كلٌ من الأعداء المحليين والأجانب خلال حرب التحرير الشعبية وثورة الشعب العظيم، والآن نُعلِنُ تأسيس جمهورية الصين الشعبية ... لن تكون بِلادنا بعد الآن أُمة مُعرّضة للإهانة والإذلال. لقد وقفنا ... سوف نُقوي دفاعاتنا الوطنية ولن نسمح للإمبرياليين مرة أُخرى أبداً بأن يغزوا أرضنا .. تحية لِتأسيس جمهورية الصين الشعبية!

اليوم، لا تزال جمهورية الصين الشعبية تُركزُ من خلال ما يُنظر إليه الآن على أنهُ صراع دام قرناً، لِتُتوّج في عام 2049 بالتغلب على الآثار المُتبقية لما أسماه الزعيم ماو "تاريخ الإهانة والإذلال" الذي يعود إلى حروب الأفيون. ومن خلال القيام بذلك ، بدأت مساراً يُعرف بإسم "حلم الصين"، أعلنهُ الرئيس شي جين بينغ Xi في تشرين الثاني/نوفمبر 2012، ولكنهُ يعكس المسار الكامل للتطور الصيني بعد الثورة. "أعلن الرئيس شي جين بينغ أنهُ "فقط من خلال التمسك بالإشتراكية ذات الخصائص الصينية، يمكننا توحيد وقيادة الحزب بأكمله والأمة بأكملها والشعب من جميع الفئات العِرقية في تحقيق مجتمع مزدهر باعتدال بحلول الذكرى المئوية للحزب الشيوعي الصيني في عام 2021 وفي تحويل الصين إلى دولة اشتراكية مُزدهِرة وديمقراطية ومُتقدمة ثقافياً ومُتناغمة بحلول الذكرى المئوية لجمهورية الصين الشعبية في عام 2049." وقد أُضيف إلى ذلك الهدف طويل المدى المُتمثل في إنشاء حضارة بيئية وصين جميلة، حيثُ يُنظِر إلى البيئة على أنها "الشكل الأكثر شمولاً للرفاهية العامة". يُنظَر الآن إلى الهدف المئوي الأول، وهو عام 2021، على أنهُ قد تحقق. ولكن الهدف المئوي الثاني لايزال بحاجة إلى تحقيق. للذكرى المئوية لجمهورية الصين الشعبية، 2049، هي الإحتفال عبر "التحديث الإشتراكي" بالتجديد الوطني للصين، بعد أن انتصرت أخيراً على مدى قرن أو أكثر من القمع الأجنبي والمحلي الذي أنتج الأختلاف الكبير بين الصين والغرب.

مدفوعة بهذا المشروع التاريخي السيادي، ظلت الصين عدواً للإمبريالية ومُدافعاً قوياً لا يتزعزع عن نظام Westphalia لسيادة الدولة، ليس فقط من حيث الصلح الأصلي لنظام Westphalia وميثاق الأمم المتحدة، ولكن أيضاً من حيثُ دعم الأهداف المُناهضة للإمبريالية لمؤتمر باندونغ العالمي الثالث عام 1955، التي قامت جزئياً على مبدأ فلاديمير إليتتش لينين لتقرير مصير الأمم، وأكدت الحقوق المُتساوية للبلدان النامية، وأهمية عالم مُتعدد المراكز. عَبَرَ الرئيس شي جين بينغ عن هذا الموقف المُناهض للإمبريالية في عام 2017:

من مبادئ المُساواة والسيادة التي أُرسيت في اتفاقية Westphalia للسلام في مقاطعة Westphalia الألمانية مُنذُ أكثر من 360 عاماً إلى الإنسانية الدولية التي تم التأكيد عليها في إتفاقية جنيف مُنذُ أكثر من 150 عاماً؛ من الأهداف الأربعة والمبادئ السبعة المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة مُنذُ أكثر من 70 عاماً، إلى المبادئ الخمسة للتعايش السلمي التي دافع عنها مؤتمر باندوينغ مُنذُ أكثر من 60 عاماً ، ظهرت العديد من المبادئ في تطور العلاقات الدولية وتم قبولها على نِطاق واسع. يجب أن تُرشِدُنا هذهِ المبادئ في بناء مجتمع مصير مُشترك للبشرية.

لقد كانت المُساواة السيادية هي المعيار الأكثر أهمية الذي يحكم العلاقات بين الدولة والدولة على مدى القرون الماضية، والمبدأ الأساسي الذي اتبعتهُ الأُمم المتحدة ووكالاتها ومؤسساتها. إن جوهر المُساواة في السيادة هو وجوب احترام سيادة وكرامة جميع الدول ، سواء كانت كبيرة أم صغيرة، قوية أم ضعيفة، غنية أم فقيرة؛ لم تتحمل شؤونها الداخلية أي تدخُل ، ولها الحق في اختيار نظامها الإجتماعي ومسار التنمية بشكل مُستقل.

يرتبط موقف الصين المُناهض للإمبريالية بمسار تنميتها بالكامل. إن تقدُمها الإستثنائي، بما في ذلك تضاعف اقتصادها أكثر من أربع أضعاف مُنذُ أواخر السبعينيات والقضاء الأخير على الفقر المُدقع، كان يعتمد ليس فقط على اندماجها في الإقتصاد العالمي، ولكن أيضاً، وليس أقل أهمية، على القيود التي قد استطاعت أن تفرضها على الطبيعة الرأسمالية لذلك التكامل. ومن الأمور الحاسمة في هذا الصدد وجود عدد من العناصر الأساسية ذات التوجه الإشتراكي التي تُميّز النظام الصيني: (1) المُلكية الإجتماعية للأرض، والتي لا تزال في الريف تُدار بشكل جماعي من قِبل المُجتمعات القروية؛ (2) سيطرة الدولة على الأموال والتمويل؛ (3) مُلكية الدولة لقطاعات الصناعة الرئيسية، بما في ذلك البنوك، مما يسمح بمعدلات عالية من الإستثمار؛ و(4) نظام تخطيط مُكمل لاقتصاد السوق يوجهه الحزب الشيوعي الصيني من خلال خطط خمسية. هناك تركيز مُستمر داخل الحزب الشيوعي الصيني على المفاهيم الماركسية والديالكتيكية، والتي يُنظر إليها على أنها مفاتيح لتحقيق مشروع الصين السيادي المُتمثل في إنشاء "ديمقراطية اشتراكية" حديثة ومُتطورة ذات خصائص صينية. والعُنصر الجوهري في النظرية الثورية الصينية، والمُمارسة ومفهوم الديمقراطية الإشتراكية هو الخط الجماهيري، أو مفهوم "من الجماهير إلى الجماهير."

تُميّز هذه السمات مُجتَمعة الصين كمجتمع ما بعد ثوري ليس رأسمالياً بالكامل ولا إشتراكياً بالكامل، لكنهُ يتبع مساراً تنموياً شاملاً يفتح إمكانية استمرار الحركة نحو الشكل الأخير.

التجربة الأثيوبية في التحوّل القطاعي الأحفوري

لم تعد أثيوبيا في ظل حكم الرئيس الحالي آبي أحمد الذي تسلم منصب رئاستها عام ٢٠١٨، ذلك الفيل الأفريقي الساهد، وإنما صارت تُعلن عن نفسها على كل الأصعدة، بما في ذلك محاولة السيطرة على مياه النيل بالقوة، دون اعتبار لمصالح جارتيها العربيتين مصر والسودان، دولتي مصب نهر النيل منذ الأزل؛ مستفيدا (آبي أحمد) في ذلك من دعم (كان علنيا مفضوحا قبل أن يصبح مكتوما مراوغا)، الدول الغربية له كنموذج مناسب للقائد العالم ثالثي "القوي"؛ وذلك برسم منحه جائزة نوبل للسلام من قبل اللجنة النرويجية لجائزة نوبل، بعد عام واحد فقط (في عام ٢٠١٩)، من توليه السلطة، نظير جهوده، كما قالت في تبرير قرارها، في تسوية النزاع الحدودي بين بلاده وارتيريا الذي استمر ٢٠ عاما.

د. محمد الصياد

فقد قررت الحكومة هناك، وفقا لمفوض لجنة البيئة والغابات وتغير المناخ الأثيوبي، القيام بعملية تحوير رئيسية في التركيب القطاعي لاقتصادها، وذلك بتغليب قطاع انتاج اللحوم البيضاء على قطاع انتاج اللحوم الحمراء، وذلك من أجل تقليل انبعاثات غازات الميثان الصادرة عن تجشؤ الميثان أثناء عملية هضمها لطعامها من الحشائش والتبن، والذي يشكل 48٪ من اجمالي انبعاثاتها الوطنية، وزيادة مرونتها المناخية التكيُّفية بحلول عام 2030، بحسب الخطة المحسنة (Improved plan) التي رفعتها اثيوبيا مؤخرا لسكرتارية اتفاقية المناخ في الأمم المتحدة. وهذا يعني أن اثيوبيا ستضحي بثروتها الحيوانية من الأبقار التي تعد الأضخم في القارة السمراء، وتعويضها بزيادة حصة قطاع انتاج الدواجن والأسماك والمجترات الصغيرة مثل الأغنام والماعز. وبموجب خطة "مساهمتها الوطنية المحددة"، فإن اثيوبيا تهدف بحلول عام 2030، إلى زيادة كمية الدجاج التجاري المباع من 33000 طنا إلى ما يقرب من 81000 طنا، وإنتاج ما يقرب من خمسة أضعاف الأغنام، وست مرات أكثر من الماعز؛ واستبدال الماشية والثيران المستخدمة كحيوانات عاملة، بالجرارات، وتحسين صحة وإنتاجية الماشية لإنتاج المزيد من الألبان واللحوم لكل حيوان. بحيث تؤدي هذه الإجراءات إلى خفض الانبعاثات بنسبة 7.6٪ مقارنة بالعمل المعتاد بحلول عام 2030. على أساس أن اثيوبيا تساهم بنسبة 0.04٪ فقط من الانبعاثات العالمية، ولديها 1.5٪ من سكان العالم.

بعد الثروة الحيوانية، فإن القطاع الثاني الذي تستهدفه خطة اثيوبيا لخفض انبعاثاتها، هو قطاع استخدام الأراضي والحراجة (Land–use and forestry)، وذلك من خلال العمل الى استعادة 5 ملايين هكتارا من الغابات وإعادة تشجير 3 ملايين هكتار من الأراضي بحلول عام 2030، على أمل تحويل القطاع من مصدر للانبعاثات إلى حوض طمر للكربون (Carbon sink)، ما سيقلل انبعاثات القطاع بنسبة 171٪ مقارنة بالتوقعات المعتادة للعمل لعام 2030.

لكن علينا أن نعي بأن هذا مجرد التزام على الورق، شأنه شأن معظم الالتزامات التي رفعتها الدول الأطراف في الاتفاقية. فهو أولا مشروط بتحقيق هدف تغيير الثقافة السائدة التي رسخها الاعتماد التاريخي على اقتصاد تربية الأبقار، ما يتطلب استقطاب المجتمعات المحلية وتأمين البنية التحتية المناسبة للسوق للمزارعين، والحوافز للمشاريع الصغيرة. فالريفيون لن يتركوا اقتصادهم الطبيعي لصالح خيار آخر ما لم يكن مضمونا. وثانيا هو مشروط بحصول اثيوبيا على التمويل من مرافق التمويل المناخية. حيث أوضحت في وثائق مساهمتها الوطنية المحددة، بأنها ستخفض انبعاثاتها بنحو 69٪ عن المعتاد في السنوات التسع المقبلة، بشرط أن يأتي 80٪من التمويل البالغ 316 مليار دولار من مصادر دولية. فتعهدها بخفض الانبعاثات بحلول عام 2030، لا يزيد عن 14٪.

فأثيوبيا تسعي للحصول على تمويل من مرافق التمويل المناخية لإعادة هيكلة اقتصادها بعيدا عن انتاج الأبقار، من أجل تعظيم حصة قطاعها الزراعي وتحفيز نموه لخلق مواطن شغل جديدة لأعداد السكان الذين يتزايدون بشكل يهدد أمنها القومي. بالمقابل، فإن هذه الخطة، وإن كانت ستخفض حصة الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي بمقدار النصف تقريبا بين عامي 2011 و2030، الا أنها ستحفز نمو ووزن قطاعات ليست أقل نفثا للانبعاثات مثل الإنشاء والصناعة والخدمات، وذلك توازيا مع التوسع الحضري والصناعي. وكما هو متوقع، فإن اثيوبيا آبي أحمد وخطته المناخية، تحظى هي الأخرى بتفهم ومؤازرة لوبي المناخ الأوروبي. فقد برر الاعلام المناخي السائد، حاجتها لتمويل مشاريع خفض انبعاثاتها وتحويل اقتصادها بعيدا عن ماشية الأبقار. كما إنه لم يتحفظ على تقديم سنة الأساس التي اعتمدتها الحكومة الاثيوبية لحساب انبعاثاتها (2010)، فهي متأخرة 20 سنة عن سنة الأساس الحقيقية التي حددها بروتوكول كيوتو (1990)، والتي راوغتها الدول المتقدمة بدورها لتقليل عبء خفض انبعاثاتها.

ومع ذلك، تستأهل خطة التحول القطاعي الأثيوبية، النظر اليها من جانب الدول المنتجة لمصادر الطاقة الاحفورية، لاسيما النفط، باعتبارها نموذجا لما يجب التحسب له والعمل به اضطرارا، اليوم قبل الغد. خصوصا الهدف المعلن منها، وهو دفع 100٪ من الأسر غير المتصلة بالشبكة الكهربائية، لاستخدام الكهرباء المتجددة لأغراض الإضاءة بحلول عام 2030، ارتفاعا من 40٪ حاليا.

الـــرقميـــة أعلـــى أشكـــال الـــرأسمـــاليـــة

منذ قرن من الزمان، كان تصوّر المسار الذي يمكن أن تسلكه الرأسمالية مشروطاً بمعطيات تاريخية مستمدة في جزء كبير منها من إرث وتراث القرن التاسع عشر، خصوصاً الإرث العسكري، وليس مستغرباً ألا تذهب قراءة المفكر وقائد الثورة البلشفية الروسية فلاديمير لينين (١٨٧٠–١٩٢٤) إلى أبعد من اعتبار «الإمبريالية أعلى درجات الرأسمالية»، وقد حلّل في كتاب أصدره تحت العنوان ذاته نمو الرأسمالية باتجاه هيمنة الدول الصناعية الكبرى، من خلال توسيع نفوذها الاستعماري، واحتلالها لدول أخرى، لوضع يدها على منابع الطاقة والثروات، ما يجعلها تحوز أكبر سلطة ممكنة في سوق العمل الدولي.

حسام ميرو

على الرغم من الأزمات الكبرى التي مرّت بها الرأسمالية، بوصفها نظاماً اقتصادياً، إلا أنها تمكنت من متابعة مسيرتها التصاعدية، فبعد أن بدأ العصر الإمبريالي بالتراجع، خصوصاً مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ذهبت الرأسمالية نحو مسار مالي، وهو ما بات يعرف بـ«الرأسمالية المالية»، والتي شهدت انتكاسة كبرى في عام 2008، تركت تداعيات كارثية على عدد كبير من الدول والشعوب والشركات، ولا تزال بعض آثارها قائمة لغاية الآن، من دون أن يعني ذلك، حدوث تراجع لهذا الشكل الرأسمالي، بل إن دور هذه الرأسمالية آخذ في التكرّس، بوصفه جزءاً لا يتجزأ من السوق الرأسمالية نفسها، وأساسياً في تكريس نمط آخر من الرأسمالية التي أصبحت أكثر وضوحاً بعد تنامي دور الرقمنة في العالم، وهو نمط الرأسمالية الرقمية، والتي تقوم على صناعة كل ما له علاقة بالعالم الرقمي، من أبحاث وتكنولوجيا وأجهزة وذكاء اصطناعي وخدمات المحتوى وقواعد البيانات.

من الناحية البنيوية، وأيضاً لجانب ديناميات عمله الخاصة، فإن الرأسمال الرقمي يثير العديد من الأسئلة لجهة غياب صفة التنافسية المعهودة في النظام الرأسمالي التقليدي، ولئن كانت التنافسية على الدوام إحدى أهم المحددات الليبرالية للاقتصاد الرأسمالي، فإن هذه الصفة تكاد تكون معدومة، في ظل هيمنة عدد قليل من الشركات العملاقة على السوق الرقمية في العالم (جوجل، أبل، فيسبوك، أمازون، علي بابا)، وغياب هذا المبدأ الليبرالي عن الرأسمال الرقمي، قد يدفع من الناحية النظرية على الأقل إلى استحضار عصر الإقطاع، إذ يبدو أن النمط الذي تتبعه هذه الشركات العملاقة شبيهاً بالسيطرة الإقطاعية، وهو ما يحيلنا بطبيعة الحال إلى استحضار النقيض التاريخي للرأسمالية بوصفها توأم الحداثة، أي العودة إلى ما قبل العقلانية والتنوير والتعاقد الحر.

الصراعات الدائرة اليوم بين عمالقة التكنولوجيا الرقمية، في جزء كبير منها، تدور حول الوصول إلى قواعد بيانات المستهلكين، والتي تبدو أنها أصبحت مستباحة بشكل واسع وغير مسبوق، من دون أية مواجهة تذكر أو مساءلة فعالة من قبل الهيئات الدولية أو المحلية لحماية المستهلكين، حتى إن هذه الهيئات تبدو مع قلة فاعليتها وتضاؤل دورها وكأنها جزء من الماضي، وبالتالي فإن المستهلكين في جميع أنحاء العالم، والذين يفترض أنهم مواطنون في دولهم بالدرجة الأولى، أصبحوا تحت سلطة شركات عابرة للدول والحدود، كما أن الحكومات ذاتها لا تمتلك أدوات فعالة في مواجهة عمليات الاستحواذ الكبرى على قواعد بيانات مواطنيها.

إن نبوءة الكاتب الإنجليزي جورج أورويل في روايته «1984» تبدو اليوم أقرب إلى التحقّق، لكن مع فارق جوهري رئيسي، وهو أن المراقبة وتوجيه الرأي العام والتلاعب بالجماهير لم يعد شأناً حزبياً أو حكومياً، بل أصبح أمراً عالمياً، تقوم به شركات عملاقة، تنتمي شكلياً إلى العالم الليبرالي الحر، لكن صيغة عملها الفعلية تتناقض كلياً مع الطابع الليبرالي للحقوق، فإذا كانت الليبرالية قد تأسست على تأكيد الحقوق الأساسية للفرد، والتي تؤكد بطبيعتها خصوصية الفرد، فإن اختراق هذه الخصوصية ليس أمراً يمسّ المعلومات وحسب، بل يمتد إلى كامل منظومة الحقوق، والأخطر من ذلك هو تحويل الأفراد من مواطنين إلى مجرد قواعد بيانات وزبائن، يتم بيعهم من شركة إلى أخرى.

لم يعرف العالم عبر تاريخه هذا التركيز الهائل للسلطة والقوة في يد قلة قليلة من المنظمات والأفراد، وهي قوة مدعومة برأسمال يفوق في كثير من الأحيان الناتج القومي السنوي لدول صناعية كبرى، فشركة جوجل، على سبيل المثال لا الحصر، تصل قيمتها السوقية إلى أكثر من 1.07 تريليون دولار، بالإضافة إلى قدرتها الهائلة على التحكم في قواعد البيانات العالمية، أكثر من أي دولة في العالم، وهو ما يجعل منها سلطة فائقة بلا حدود جغرافية، أكبر من أي إمبريالية سابقة، ومن هذا المنطق، فإن الرأسمال الرقمي في اللحظة الراهنة هو أعلى شكل عرفته البشرية من أشكال الرأسمالية.

في يوم الفلسفة

ما الحاجة إلى الفلسفة والتصوف؟

هناك مقولة لعلي الوردي في كتابه «خوارق اللاشعور»، تقول: «إن معظم رجال الدين ينظرون إلى اللّه كما ينظرون إلى حاكمهم السياسي، لذلك نجدهم يهتمون بالشعائر والطقوس أكثر من الاهتمام بصفاء القلب وسلامة العمل والنية».

فاعترضها صديقي محمود الجابري قائلا: «ألا يمكن الوصول لمرحة التوازن؟ ألّا نتحيز لطرف؟ أن نعبد اللّه حق العبادة، وأن نهتم بسلامة الصدر والنية معًا؟ فالتاريخ يشهد لكثير من المفكرين المسلمين ورجال الدين يقفون ضد هذه الطريقة في التعاطي مع اللّه، ومن الظلم التعميم».

أحمد السعيد

أشرت لصاحبي أن مقولة الوردي لا يفهم منها الفصل أو عدم الجمع بين الأخلاق وأداء الطقوس الدينية، بل إلى أي جهة تميل الكفة.

توجد حكمة قديمة يرددها أجدادنا بأسلوبهم البسيط، مفادها أننا لا يمكن أن نمسك بتفاحتين في اليد الواحدة، ستسقط منا إحداهما أو سنقبض على واحدة دون الأخرى بشكل أقوى.

أقول لمحمود: لو خُيِّرتَ بين صديقين أحدهما يتفق معك في الدين، ويختلف معك في الطبع والخلق، وآخر يتفق معك في الطبع والخلق ويختلف معك في الفكر والدين، فأيهما ستفضل. أجاب دون تردد: لا ضرورة أن يتفق معي في الفكر. قلت: وأنا كذلك.

لكننا لو عدنا للأسلوب التربوي عندنا، فإننا نجد النموذج الأول يطغى على النموذج الثاني، فقد نتعامل مع أبنائنا بطريقة لا أخلاقية لأنهم لا يؤدون الشعائر في وقتها، وقد لا نقدم النموذج الأخلاقي المطلوب في الحياة العملية، إلا أننا نأمرهم بالالتزام بالنموذج الطقوسي المطلوب، لأنه أسهل الطرق وأقصرها إلى الله.

إن رجال الدين قسمان أيضا. وإني أتفق مع الوردي في مقولته، رغم وجود أمثال موسى الصدر الذي لم تمنعه عمامته أن يصادق العلمانيين نساءً ورجـالًا، والسيد محمد حسين فضل الله الذي دافع عن صديقه حسين مـروّة ضد مُكفريه، وكان الأخير قد خلع لباس الدين، وأخذ يؤرخ للتاريخ العربي الإسلامي تأريخًا أكاديميًا ماديًا ليقدم لنا قراءة تاريخية معاصرة في كتاب "النزعات المادية"، لكنهم في النهاية قتلوه. ونادرًا ما يحدثنا أحدهم كما حدثنا الوائلي قائلا إن الرابطة الإنسانية والأخلاقية هي التي تجمع البشر، وحين نقدّم الرابطة العقائدية عليها، فـإن خللاً يحدث في إنسانيتنا وتشوه في ذواتنا، وإذا اتفقوا مع الوائلي وجدت سلوكهم يخالفه.

وكان الفخر الرازي في تفسيره للآية: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحين" يقول بأن الله لا ينزل عقابه على قرية لمجرد كون أهلها مشركين، بل يحدث ذلك حين يُفسدون في المعاملات، والعكس صحيح، قد ينزل عقابه على قوم مسلمين إلا أنهم لم يُصلحوا في المعاملات، فالسعة والرحمة واسعة عند الله في حقوقه إلا أنها شديدة مع حقوق الناس. فهذه سنة كونية، إذا عم الظلم بادَتْ الأمم.

وظيفة الفلسفة تكمن في تحرير الإنسان من السلطات على أنواعها ليصبح الفقراء هم كل شيء يمتلىء به الوطن

ولكن هذا الصوت الأرقى معرفيا، والأكثر سعةً يندرُ بيننا اليوم، ففي حديث لنا في مجلس سأل أحدهم: لماذا يقول الفقهاء بأن التائب عليه أن يعيد جميع صلواته السابقة التي لم يؤدِها عندما كان بينه وبين دِينه جفوة. قال أحدهم: هذه حقوق الله ولا تساهل فيها. فنقلت قصة للقشيري قلت فيها إن الآراء مختلفة في هذه المسألة، لكن الصوت الأبرز اليوم هو ما ذُكر. ومفاد القصة، أن الجنيد الصوفي دخل على شيخه سُرَي السقطي فوجده متغير الحال. فقال له: ما لك؟ قال: دخل علي شاب فسألني عن التوبة، فقلت له: التوبة ألا تنسى ذنبك. فاعترضني قائلا: بل التوبة أن تنسى ذنبك. قال الجنيد: أقول ما قاله الشاب. فقال السُّري: لمَ؟ قال: لأني كنت في حال الجفاء، فنَقلني إلى حال الصفاء. وذِكر الجفاء في حال الصفاء من الجفاء. فسكت السُّري. المتصوفة ينظرون إلى الله كمحبوب، وأنت إذا تصافيت مع المحبوب لا تعكر صفوه بذكر أيام الجفاء بينكما.

إنهم يسهلون على الإنسان فتح الصفحات الجديدة مع ربهم. إلا أن رجال الدين لتقديمهم صورة الحاكم الجبار العنيد، على الرحمن الرحيم الحبيب، يعقدون تلك البدايات، وقد يساهمون في رجوع الإنسان عن أمره.

هذه هي النظرة العامة لرجال الطوائف مهما حاولنا تجميلها، ولو تتبعنا التاريخ الإسلامي لوجدنا الصراع فيه قائم على جبهتين، الأولى: حاكم يحكم باسم الله - ويحتكر صورته فيه - وله فقهاء يكفرون الناس باسم الله والحاكم، يقابلها معارضة متنوعة في أفكارها تريد التحرر من تلك السلطة السيا-إلهية، لكن معظمها يريد التحرر من تلك السلطة ليحتكر ذلك الحق، وتُعاد الكَرَّةَ مرة أخرى. والثانية: جبهة صراع بين رجال الطوائف، وسلطتهم الدينية المحكومة بأدبيات علم الكلام التي تقسم الناس لأهل ضلال وأهل حق، يقابلها الفلاسفة والمتصوفة الذين يعملون على تحرير الله من الطرق الأحادية لعلم الكلام لنتمكن من رؤيته في الأضداد، يقول النفري في المواقف: (إذا رأيتني في الضدين اصطفيتك لنفسي).

لطالما حرك رجال الدين الحُكّام والغوغاء ضد فيلسوف ما، فقُتل السهروردي، وابن المقفع، والحلاّج، وصودرت كتب ابن رشد، وكُفر ابن عربي. وإذا لاحظنا العالم العربي بصورة واسعة: تونس، المغرب، الخليج العربي، لوجدنا رجال الدين لا زالوا يؤلبون العامة على مفكر ما دون أن يقرأوه كما رأينا مع قاتل فرج فودة الذي يجهل سبب تكفير المقتول، وكما فرقوا بين نصر حامد أبو زيد وزوجته، وصادروا رواية "أولاد حارتنا" لسنوات في مصر.

إن هناك صراعاً دائماً بين احتكار السلطة والمعرفة - الله/الحق - وبين تحريرها من قبل أهل الفكر كما فعل المتصوفة والفلاسفة.

إن وظيفة التصوف والفلسفة تكمن في تحرير الإنسان من السلطات على أنواعها، فما دام هناك سلطة لا يوجد حب، بل أسياد وعبيد، حُكّامٌ ومحكومون، وهذه هي علاقتنا مع الحاكم والله من دون الفلسفة والتصوف اللذان يؤلهان الإنسان ويؤنسنان الآلهة، ينزلان الحاكم للمحكوم، فيصير الشعب مصدر للسلطات، يُحاكم السلطات وتُحاكمه، ويشارك في اتخاذ القرار. يصبح الوطن ليس الحاكم كما هو في الذهنية السلطوية، بل الشعب، فقراء الوطن، ترابه، بحره، بيوته، وماؤه. كل شيء يمتلئ بالوطن، وكل شيء يمتلِئ بالآلهة.

خطيئة توحيد الإنسان في الرجل

جلال إبراهيم

في اللغة مرأة مؤنث مرء. ومرأة لها عدة صيغ فإلى جانب مرأة نقرأ إمرأة ومرة ومراة، والأخيرة على اللفظ السامي القديم. والمرة والمراة هما الدارجان في لغة الكلام المعاصرة.

وتعتبر اللغات السامية من أكثر اللغات تمييزاً بين المؤنث والمذكر ويتقاسم التأنيث والتذكير مفرداتها وأدواتها بالمناصفة. ويعود ذلك إلى المكانة التي تمتعت بها المرأة في الحضارات السامية.

ومن الملاحظ على اللغات الأوروبية اعتبار الرجل هو الإنسان والإنسان هو الرجل والمرأة مشتقة من الرجل man–wo وإذا أريد في الإنجليزية مثلاً أن يشار إلى كاتبة قالوا woman writer لأن الأصل فيها هو المذكر (كاتب) ولإجراء التأنيث يجب إلحاق اسم المرأة: (كاتب امرأة). وهكذا: عالم امرأة، وفنان امرأة، وعامل امرأة.

في كتابه القيم (فصول عن المرأة) يُشير العلامة هادي العلوي إلى الأخطاء الشنيعة والالتباسات التي يقع فيها المترجمون العرب عند النقل من إحدى اللغات الأوروبية فيثبتون كلمة رجل في مصطلح قد يكون مشترك بين الجنسين والمقصود به الإنسان لا الرجل. والسبب في ذلك توحيد الإنسان في الرجل.

وعند العودة إلى قاموس اللغة العربية نجد أن مفردة (الإنسان) من (المستوي) أي الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: هو إنسان وهي إنسان، هذا إنسان وهذه إنسان. ولا يجوز تأنيثه إلى إنسانه.

وبالرغم من حصول المرأة في الغرب على الحرية والحقوق الكاملة، غير أن مظاهر الذكورية لا تزال تفرض نفسها على الغربيين. ومن مظاهرها تلقيب الزوجة بلقب الزوج وفي ذلك إقرار رسمي بتبعية المرأة للرجل. ومما يؤسف له تقليد فئات من المثقفين والسياسيين والفنانين العرب لهذه الفكرة المتخلفة، في مقابل استهجان عامة نساؤنا لها، لأنهن غير تابعات للثقافة الغربية.

وفي هذا الصدد لا بد من الإشادة بلغتنا العربية، وهي أكمل اللغات السامية وأحدثها، لأنها تقف بالمناصفة في التأنيث والتذكير، فهي تؤنث الكثير من مظاهر الطبيعة والمجتمع الكبرى كالشمس والسماء والأرض والحرب والسلم والقبيلة والدولة والحكومة.

لذلك على المثقفين والفنانين والسياسيين العرب وخصوصاً النساء منهن عدم الوقوع في خطيئة توحيد الإنسان في الرجل، ففي ذلك انتقاص من قيمة المرأة واستقلاليتها.

قراءة في كتاب
«مهــزلــة العقـــل البشــري»

يحاول الدكتور علي الوردي من خلال كتابه الغني والمثري (مهزلة العقل البشري) أن يدرس بعض الظواهر التي تحدد الأطر العامة للعقل الديني العربي ضمن إطار اجتماعي، تاريخي، نقدي. وقد خصص مقدمة الكتاب للرد على الهجوم الشرس الذي تعرض له كتابُه الأسبق (وعاظ السلاطين) وآراؤه اللاذعة التي وجهها للمتملقين والمنافقين الذين يستخدمون الدين كوسيلة للوصول لمآربهم وتحقيق مطامعهم الشخصية على حساب الآخرين.

حسين الربيع

المثير أن بعض هذه الآراء كادت تودي بحياة علي الوردي لولا أنه استطاع النفاذ منها بإعجوبة. كان الدكتور ناقداً لسلوك بعض رجال الدين وأساليبهم الملتوية التي تظهر للناس عكس ماتخفيه من مكر ودهاء. يطلب الدكتور برجاء من القارئ قبل أن يقرأ مهزلةَ العقل البشري أن يدرك بأن هذا الكتابَ قد لايتماشى مع الاعتقادات المسبّقة للقارئ، وأن القارئ يجب أن يتحلى بالمرونة الفكرية اللازمة لتَقبل الأفكار الأَخرى وعدم محاربتها مباشرةً، هذا –على ما أظن– تمرينٌ لا يخلو من الأهمية للقارئ الذي يجيء من بيئة يسيطر عليها الإنغلاق الفكري والتفكير الأحادي والأُطُر المحددة سلفاً، إذ يقول في أول صفحاته: "إن هذا الكتاب للذين يريدون أن يفهموا ما يقرؤون، وليس للذين يريدون من الكتاب أن ينقل ماهو مسطورٌ في أدمغتهم مسبقاً" من خلال علم الاجتماع واختصاصه كسوسيولوجي يلقي الدكتور الضوء على أمور عديدة؛ مثل العلاقة التي احتدمت بين الأفلاطونيين والسفسطائيين في أثينا. ينتقد دوغمائية المنطق الأرسطي في المقابل يظهر سوء الفهم والتشويه الذي لحق بالسفسطائيين وفلسفتهم، مع ميل الوردي الواضح لجانب السفسطائيين الذين قدموا الكثير لمدرسة أثينا، إلى جانب ذلك يحاول بيان أن الواقع لا تؤثر فيه روعة وجمالية الفكرة بقدر ما تمثّلُهُ إمكانية تطبيقها، لأن فائدتها ستكون محدودة.

يعدها، يتطرق الوردي، وبتعمق أكثر للصراع السياسي الديني في الإسلام بين مختلف المذاهب والطوائف على رأسهم الصراع بين الأمويين والعباسيين والعلويين، الصراع الذي أثر في بنية العقل العربي والتراث الإسلامي أيما تأثّر، ومازالت تداعياتهُ على الشارع العربي والإسلامي كبيرة الى يومنا هذا. لعل أكثر ما لفت انتباهي في الكتاب هو بحثه التاريخي الاجتماعي للعلاقة التي جمعتْ الثلاثي الأبرز في حقبة صدر الإسلام – أبا بكر، عمرًا، وعلي – بعد وفاة النبي (ص) بأنها علاقة اتسمت بالجدية والعمل المشترك من أجل الإسلام بعيداً عن النزوات الشخصية، صحيح أن العلاقة بين الثلاثي كانت في باديء الأمر تشوبها بعض الخلافات، لكن سرعان ما تسامى ذلك الثلاثي على تلك الخلافات ليكون العمل والوجهةُ نحو الإسلام.

من الصعب أن نتعرف على سُموّ تلك العلاقة من الكتب المؤدلجة للفِرَق والتي تريد جر الأمور لصالحها فتعمل على تأصيل الصراع السياسي حتى تنمّي الولاءات داخل جماعاتها وتعزز الفكر الاحترابي (نحن/هم) وبالتالي تضمن زخم وجودها المتمثل في الأيديولوجيا. إلا أن الدكتور علي الوردي متسلحاً بعقلية متفتحة نقدية وأدوات سوسيولوجيّة حديثة يحاول تفكيك تلك البنية وأيديولوجيتها.

مع ذلك فإن الصراع السياسي الإسلامي لاينتهي إلى هذا الحد، بل يأخذ منحنىً راديكالياً مع بداية نشوء الدولة الأموية والتي – حسب الوردي – تعتبر وعن طريق آلتها الإعلامية الضخمة الإسفين الذي حاول وروّج للخلاف الحاد المزعوم بين الثلاثي – أبي بكر، عُمر، وعليٍّ – ليكون ذلك الخلاف منطلقاً لها لتأسيس دولة إمبراطورية باسم الدين. يسهب الوردي في الحديث عن العلاقة التاريخية بين علي ومعاوية في شرح مفصّل، يوضّح التدافع الاجتماعي الضروري الذي لابد أن يحصل كجدليّة تاريخية اجتماعية. تنشأ سلطة جائرة من جهة وإمام أو تيار ثائر مناهض لتلك السلطة من جهة أخرى لينتج عن هذا التدافع ازدهار وبناء الحضارات، وهي نظرية كان قد أسس لها عالم الاجتماع العربي ابن خلدون في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي في ظل الصراع المحتدم في الأندلس بين الموحدين و ملوك الطوائف والصراع في الشرق بين المماليك والعثمانيين، كلها دول وممالك تتخذ من الإسلام أساساً وشعاراً لها تحارب به خصومها من المذاهب الإسلامية الأخرى، وفي ظل انشغال المسلمين في الصراع المحتدم فيما بينهم على الزعامة الدينية والسلطة السياسية المركزية تتقدم الجيوش الغربية داخل عمق الأندلس و تزحف الجيوش الشرقية المتمثلة في المغول نحو الممالك الإسلامية ثم نحو بغداد مركز الحضارة الإسلامية. وجود ابن خلدون في هذه الحقبة التي تمثل عهد أفول الحضارة الإسلامية يعد استثناءً، وعلى هذا الصراع بنى ابن خلدون نظريته في العمران – نشوء وانحطاط الدول –.

كتب الوردي في خاتمة الكتاب رسالة مهمة موجهة لنا جميعاً، مفادها أن طريقة تفكيرنا ونظرنا للأمور ماتزال متأخرة جداً، يجب أن نستبدلها ونتحلى بعقلية شجاعة واقعية تتناسب مع عصرنا: «إن الزمان الجديد يقدم لنا إنذاراً، وعلينا أن نصغي الى إنذاره قبل فوات الأوان إنه زاحف علينا بهديره الذي يصم الآذان ... إن الجيل الجديد مقبل على دراسة الأفكار الحديثة وقد أصبح ذهنه مشبعاً بما فيها من منطق واقعي ... الأفكار كالأسلحة تتبدل بتبدل الأيام. والذي يريد أن يبقى على آرائه العتيقة هو كمن يريد أن يحارب الرشاش بسلاح عنترة بن شداد"

يتخذ الدكتور علي الوردي في رده على الأفكار المضادة أساليب منطقية وفي غالب الأحيان أساليب غير منطقية فهو غالباً مايقع في مغالطة التعميم حتى على الأفكار المنتخبة من قِبَله ربما لحماسته الشديدة وحسه الاندفاعي النيتشوي، لعل هذا مايعيب بعض أبحاث الوردي، لكن هذا لا يفقدها أهميتها بطبيعة الحال. يجب أيضًا ألا نتغافل عن السجال الذي يصل الى حد الشجار بين الفئات الثقافية ورجال الدين والشارع ورجال السياسة في العراق الذي كان يمر بمراحل ومنعطفات سياسية حرجة خمسينيات القرن الماضي، بالطّبع ستكون هذه الأجواء المشحونة مؤثرة على الأسلوب والمزاج العام للمفكّر وحتى القارئ.

جدار بين ظلمتين

ظلمة هي الحياة اذا لم يكن هنالك بصيص ضوء. ولكن من أين يأتي الضوء طالما هنالك أنظمة ظالمة، فمتلازمة الظلم والظلام تبقى طالما بقت تلك الأنظمة تجثم على صدور البشر ومصائرهم، وتحصي عليهم أنفاسهم وتجعل مصائرهم مجهولة بحكم البطش وسلطة القانون المسخر لمصلحة الأنظمة القمعية الظالمة، وهذا ما نجده في العديد من أنظمتنا العربية للأسف الشديد. كتاب قرأته عن سيرة ذاتية لحياة مأساوية نتجت عن إعتقال صاحب الرواية رفعة الجادرجي لدى السلطات العراقية إبان حكم صدام حسين.

حميد الملا

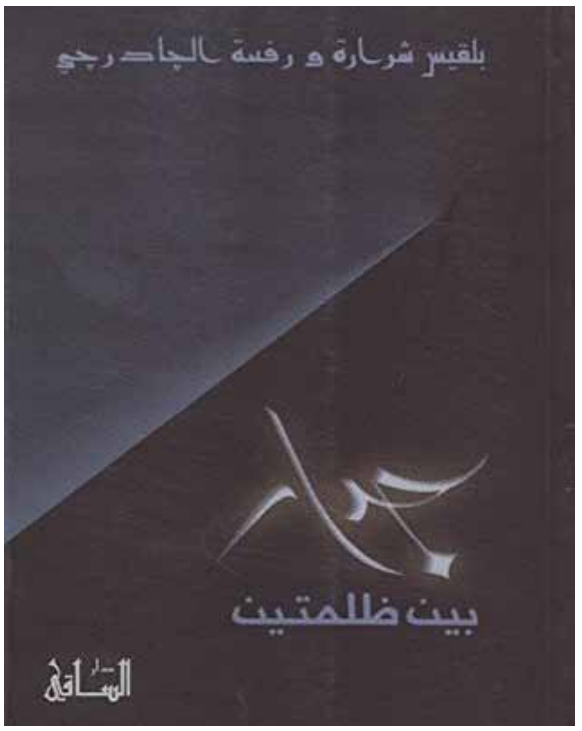

هذا الكتاب يروي قصة رفعة مع الاعتقال ودور زوجته بلقيس في معرفة مصيره لدى السلطات وسعيها لاطلاق سراحه ليتقاسم الراويان تلك الحكاية من خلال وضع منولوج لكتاب ذي فصول يتقاسماها كلاهما دون أن يتدخل احدهما بحكاية الاخر، وبأسلوب بسيط وبصيغة مبتكرة للتوثيق، فالزوج يلقي الضوء على حاله في ظلمة جدران المعتقل والزوجة تحكي حالها ووضعها في خارج ظلمة جدار السجن محاولة منها معرفة مكان اعتقال زوجها وما آل اليه في ظل التعتيم على مصيره، وكذب السلطات عن تحديد مكان اعتقاله والحالة التي أصبح فيها أثناء الاعتقال ووضعه في السجن، وكيفيّة التعامل مع هذه الواقع الجديد.

يتكون الكتاب من أربعة فصول، ويعتبر وثيقة من الوثائق التي تسجل حالات العسف والمعاناة التي عاشها وما يزال يعيشها الشعب العراقي في ظل الأنظمة المتعاقبة عليه. المحنة التي عاشها رفعة وزوجته بلقيس دامت عشرين شهراً، وبعد مضي خمسة عشرعاماً من خروجه من السجن قررا كلاهما أن يدوّنا ما عاناه من محن خلال فترة السجن ليصدر الكتاب في العام 2003 عن دار الساقي. فالتجربة القاسية التي مر بها رفعة قد تكون أهون من تلك التجارب الأخرى التي مرت على الآلاف من أبناء وبنات الشعب العراقي في ظل النظام البائد، وما لاقوه من تعذيب وتنكيل وتهجيروقتل وإعدامات طالت العديد من القطاعات والأحزاب والقوميات ليعيش الشعب العراقي ظروفاً صعبة وعسيرة، من حروب وكوارث.

تبدأ مأساة رفعة في السادس عشر من يناير 1978 وهو يوم اعتقاله، لتخبر الزوجة من قبل والدة الزوج (الأمن أخذوا رفعة). «شعرتُ بجسامة اللحظة وعشتُ منذ تلك اللحظة في شك وقلق وخوف على مصيره»، كما تقول زوجته بلقيس. ومنذ هذه اللحظة تبدأ الزوجة بالإتصالات لمعرفة مصير زوجها المهندس المعماري المشهور، إبن كامل الجادرجي أحد مؤسسي الحزب الوطني العراقي وأحد السياسيين المحكوم عليه بثلاث سنوات في ظل حكم نوري السعيد في العام 1956، لتتوالى الفصول من التحقيق مع رفعة وهي ليست المرة الأولى التي يستدعى فيها، فقد استدعي مرات عديدة وكان الاستدعاء من قبل دائرتي الأمن والمخابرات كما يقول.

فبعد أن يسلم المعتقل عصابة يضعها على عينيه، تلك العصابة التي فقدت لونها من كثرة الاستعمال وحال لونها إلى السواد كما يذكر رفعة، يبدأ معه حفل التحقيق والاستجواب وحال الانتهاء من كل ذلك يعطى المعتقل رقماً وعليه أن ينسى إسمه وهويته، ماضيه ومستقبله وطمس وجوده وإلغاء كيانه كمواطن وإنسان وما عليه سوى تذكّر هذا الرقم ولاشئ سواه.

وهنا يذكر رفعة (أصبح الاستحمام وتناول وجبات الطعام والنوم والانتظار، بعد اليوم الأول في الزنزانة، أحداثا متتالية متعاقبة من روتين حياتنا اليومية، كئيبة ومتكررة، من دون أي تغيير في نمطها سوى خروج معتقلين وورود آخرين محلهم). الاتهام الموجه لرفعة لا يعدو أن يكون علاقته بشركة (ويمبي) البريطانية لتنفيذ مشروع (عكاشات)، وهو مشروع ضخم ومعقد وكونه مهندس استشاري، وكون الحكومة دخلت في خلاف مع بريطانيا فأصبح هو كبش الفداء، واتهم بالتخريب الاقتصادي، ليحكم عليه بالسجن المؤبد من محكمة الثورة في 23 مايو 1979 في محاكمة صورية لم يحضرها أحد، ولم يعلم بها حتى المتهم إلا يوم النطق بالحكم، بعد أن فشلت جميع الوساطات وعلى أعلى المستويات في الداخل والخارج كون المعتقل شخصيّة معروفة ومشهورة في ذات الوقت وله علاقات متشعبة من خلال عمله والندوات العلمية في مجال تخصصه.

لاتعدو سعة الزنزانة رقم (26) التي يقبع فيها رفعة أكثر من متر وسبعين سنتيمتر عرضاً، ومترين طولاً فيذكر (نشعر بثقل الهواء بسبب حشر المعتقلين في ذلك الحيز الضيق. لا مجال لحركة الهواء النقي فيها، فيدور الهواء كما لو أننا داخل فنجان.).

إذن هذه حال السجون في مختلف البلدان العربية، التشابه في كل شيء وكل يستفيد من تجارب الآخر في التعذيب والتنكيل بالمعتقلين وإذلالهم بكل الطرق وبمختلف الوسائل. بعد الحكم يساق رفعة لسجن "أبوغريب" ليلتقي بالعديد من المعتقلين العرب والاكراد المحكوم عليهم جماعيا كونهم ينتمون لتنظيمات تسعى لتحريرهم من السلطة المركزية والبعض منهم محكوم عليه بالإعدام.

وقبيل إطلاق سراح رفعة نمى إلى علم بلقيس من خلال إحدى المهندسات (وجدان) من أن السلطات العراقية بصدد تنفيذ مشاريع ضخمة بمناسبة إنعقاد مؤتمر دول عدم الإنحياز في بغداد عام 1982 واضطرارالسلطات للبحث عن مكاتب كبيرة لتنفيذ هذه المشاريع، فما كان من المسؤولين إلا الطلب من رئيس الجمهورية إطلاق سراح رفعة بعد أن طلب منهم البحث عن خيرة المهندسين، فكان جواب المسؤول (سيدي واحد جوه والأخر بره)، وكما تروي بلقيس فإن المقصودين هما رفعت الجادرجي في السجن والمعماري الآخر الدكتور محمد مكيّه في الخارج، فقد ترك العراق منذ بداية السبعينات. عندها قال صدام حسين (الجوه نطلعوا، والبره نجيبو).

هكذا تدور الدوائر في تعامل السلطات مع العلماء والمتميزين، تزج بهم في السجون وعندما تحتاجهم يطلق سراحهم، بعد خروج رفعة من السجن هُيئت له دائرة في أمانة العاصمة عُين هو رئيساً لها، وباتت كلفة المشروع لا حدود لها بعد أن أصبح الرئيس هو المرجع لتفيذ تلك المشاريع، وأصبح يوم 20 أغسطس، كما تقول بلقيس، عيد ميلاد ثان نحتفل به، فقد ولد رفعة ثانية عندما خرج من أحشاء السجن المظلم، وأصبح الاحتفال بعيد ميلاده الثاني عادة مستمرة حتى بعد أن تركنا العراق.

قصة رفعة لا تعدو أن تكون واحدة من آلاف القصص المشابهة التي تحدث في مختلف السجون العراقية منذ أن تحكمت الدكتاتورية على رقاب الشعب العراقي وأذاقته صنوف الإذلال، وجعلت من هذا الشعب العظيم ذي العزة والكرامة يعيش الخوف والرعب ليخاف الأخ من أخيه والعائلة من ابنها، هذا النظام الذي عاث فساداً في عقول الشباب العراقي وجعل منهم مطيّة لأساليب التبليغ عن أهاليهم، حيث أصبح الكل في هلع دائم على مصيره، فالمستقبل مظلم والأمل في حياة حرة كريمة معدوم، ليصبح العراق في تلك الحقبة جمهورية الخوف حقاً وحقيقة.

إلا إن الأمل يبقى معقوداً على الجيل المنتفض في الساحات ليقدموا بديلاً عن تلك الأنظمة القمعيّة، وها نحن نرى كيف أن الفساد والسرقات مستشرية بعد سقوط نظام صدام ليأتي البديل الأسوأ، نظام المحاصصة الطائفية.

جدار بين ظلمتين معاناة عسيرة ومؤلمة عاشها الراويان، وتغلباً على أحزانهما بقوّة الإرادة والحب والإخلاص لكليهما، وفعلت الزوجة وأقربائها المستحيل لفك الطوق عن رقبة رفعة الجادرجي ذاك الانسان البارع والمتميز في عمله الهندسي، ليخرج من السجن وبعد إنجاز المشروع يفرّ خارج وطنه، كحال الآلاف، إلى بلدان أخرى تستفيد من هذه الكفاءات ليعيشوا منفيين عن أوطانهم.

The Home
خدعة أم حلوى (*)؟

زهراء المنصور

نظلّ نحب بعضنا بعضًا حتى تكشفنا المواقف وتظهر حقيقتنا. حتى هذا التماسك الظاهر والمحبة التي يعبر عنها، قد لا يكون لهما أساس حقيقي. فحين يأتي وحش المحك، تأتي معه الاختبارات على سبيل التجربة!

في عرض مسرحي عراقي، يترقب الزوج دخول الدواعش بيته، الذي يقطنه منه وزوجته ووالدته. وحين يتوفر خيار "طاقية الإخفاء" لشخص واحد كي ينجو من الاغتصاب والسبي والقتل، يحدث هذا المأزق الإنساني الكبير في تفضيل كل منهم نفسه في النجاة، حسب منطق الشخصية. وبينما يطلق الناس في العموم أحكاماً مطلقة إذا ما سمعت/ قرأت بحوادث مشابهة، لكن أحداً لا يتصورٍ أن يقع في ورطة كهذه. لذلك فالكلام سهل، وسهل جداً إذا تكلمنا كمُنظرين، ثم انصرفنا إلى حياتنا اليومية، دون أن نشغل بالنا بما يؤول إليه حال غيرنا.

ولنتذكر جيدًا أن العرض عراقي خالص، بمعنى أنه يحمل الهم المحلي، حتى وإن لم تلفظ كلمات دالة على المكان أو الزمان أو الأشخاص، بما فيها اسم العرض The home البيت/ الوطن/ الحوش –كما يصفه البطل على لسان أمه–، وهو اسم ينحو بالعرض نحو التغريب، ولن يستطيع، ذلك أن القصديّة التي تحرك بها هذا العرض للتمويه مقصودة ضمن معانٍ أخرى دالة، وما مر به العراق الحبيب من نكبات سياسية متعددة، حَال دون الاستقرار على جميع الأصعدة. لا شك أن هذا عبء متضمن في كل الأجيال التي أتت بعد هذه الظروف، ولم يشهدوا ما كان يحظى به هذا البلد من غنى مادي ومعنوي، وحضارة عريقة ومؤثرة. فتغيُّر الأحوال المتواصل، غيَّر المزاج العام في جملة أعلن عنها صوت الراوي الذي حكى عندما "كنا" وماذا "صرنا"، وعبر عن العيش في البيت الواحد والقلوب شتى!

وبعد مفتتح الراوي وأغنية فيروز "وطني يا جبل الغيم الأزرق" التي اختارها المخرج كمدخل للحدث القادم، يدخل المتفرج في متاهة تحيره؛ في دخول جندي بملابس غير محددة الملامح، على ثلاثة أشخاص نائمين، ليستجوبهم باللهجة العراقية، قبل أن يأمرهم بالعودة للنوم "جبراً": "هسه أحسن لو قبل؟". ومع اختلاف الإجابات التي تعبر عن وجهة نظر أصحابها، أو عن مصالحهم، يأمر معاونه في جملة ملغزة "روح قلّه إذا لقيته لا تقلّ له"، وكأنها إشارة البدء لسلسلة من الأحداث العجائبية، التي ترافقها موسيقى " الكاولية"، وهم غجر العراق(1) الذين جاء أصل تسميتهم من قبائل هندية – رغم تعدد المراجع التي تنسبهم إلى أصول متعددة – كانت بعض نسائهم تمتهن الرقص والجنس كخدمة دينية لرجال الدين، أو بالأجر لآخرين، وبينهن من عمل في معبد الملك كاول، وبالتالي جاءت التسمية لهذه الجماعة من هنا. ورغم أن هذه الفئة ليست مسألة جوهرية في The Home، لكن سيطرة موسيقاهم المعروفة في معظم العرض يدعو للتفكّر، خصوصاً إذا ما تم إقران أن هذه الفئة؛ الغجر والنور –المرتبطة بالشتيمة أحياناً– لا تزال غير مقربة من المجتمعات التي تعيش فيها، بسبب تمسكهم بأطباع من سبقوهم في بعض الخطوط الحمراء التي تضعها المجتمعات، والمحافظة ذريعة لعدم التجانس مع المختلفين عنهم.

في المجتمعات الشرقية، وربما مجتمعات أخرى، سيلقى اللوم على الزوج/ الذكر/ الرجل الذي من صميم مهامه الدفاع عن كل ما يخص

الأنثى المحتمية تحت جناحه؛ زوجة، وأماً، وأختاً، وأي أنثى يضعها القدر في طريقه، إذ واجبه الإنساني يحتم عليه أن يفعل ذلك، وهي صورة ذهنية من الصعب التخلي عنها. لكن في وقت حصد الأرواح، لا يمكن التكهن بردة الفعل. وبما أنه عرض تجاوز تصوير الواقع، إلى القفز بفكرة فنتازية عبر الطاقية، فله الحق في تجسيد الأفكار التي تخدم العرض، وتلقي بمسئولية التفسير في حِجر المتلقي. فهذا الزوج الذي يواجه المتلقين ليعرفهم أن القاطنين في هذا البيت أربعة أشخاص، بينما يعيش هو وزوجته ووالدته فقط، لكنه يحسب نفسه مرتين: ابناً، وزوجاً، ولهذا علامة مرتبكة لا يمكن تأويلها إلى شكل واحد.

وهو يقرر أنه سيهدي مغتصبي زوجته، الذين بلا شك سيستخدمون سريره، نسخة من القرآن "ليتلوا ما تيسر من شرفنا"، وإهداؤه هذا من منطلق أن بيع الكتاب المقدس "حرام"، ينطقها بلهجة معينة لها أتباعها الكثر، لكنه لا يحمِّلها وحدها كل الذنب، فالدلالات المثقلة في المسرحية تدين جهات متعددة أوصلت الأحوال إلى مرحلة كبيرة من السوء. لذلك فالعلامة في تجريد الزوج لزوجته من عباءتها السوداء، التي تحتمي بها خوفاً من دخول "المغتصبين"، مخيفة لضرب مفهوم النخوة لدى عموم العرب، ومحل استنكار كبير، وزاد على ذلك لفه العباءة حوله، والرقص المتواصل بعنف على نفس الموسيقى "الكاولية". إنه منظر يذكر بمرحلة سيئة من عمر العراق العريق، لما انتشر هذا الشكل وعمم ليتصدر الفن العراقي بالنسبة للجيل الجديد. كما لا يمكن التكهن بيقين؛ هل يحتاج الزوج لهذا الصخب كي يتناسى القادم الموجع؟

أسئلة موجعة أكثر تخوض في علاقة الفرد بمعتقداته، وتختبر إيمانه، وصبره، وإتكاله، وتأويله لأمور حياته حسب موقفه الآني. حين تحضر الأم بمصاحبة إيقاع مألوف عند طائفة من المسلمين، وإضاءة خضراء مألوفة، وتخاطب "باباً من أبواب الله" مراراً ألا يبخل عليها بطاقية إخفاء، بتوسل صادق، ولا يحدث؛ فتحيله للذنوب الكثيرة التي –ربما– ارتكبتها في حياتها! مع الأخذ في الاعتبار أن واحدة من أهم أهداف الأديان "الطمأنينة!" الزوجة الشابة التي تحاول المناجاة بمنهج أم زوجها، لكنها تملّ من الشكل التقليدي، وتتوسله بطريقتها عن أقصى

همومها: ألا تكون وعاءا للدنس، أما الزوج، فهو يخاطب "المخلّص" الذي كان يسمع بظهوره منذ كان في بطن أمه، وأن الوقت قد حان، لأن الأرض مُلئت جوراً وظلماً وفساداً، فلِمَ لا يظهر لينقذهم من مأزق الاختيار، فيأتي الجواب من الأم التي ترى أمثال ابنها الذي يقايض على شرف أمه وزوجته من أجل حياته؛ واحداً من أسباب عدم الظهور! إذاً فهناك مبرر ومرجعية جاهزة لعدم الاستجابة، حتى ولو تساءلت الزوجة: "ألم تقل بأنه يستجيب لنا برمشة عين؟".

جمال هذا العرض في تحريكه أسئلة كبيرة تنطق على لسان الشخصيات، ويترك مهمة تأويلها للمتلقي المسكين. هناك دائماً التباس يُدخل المقدس في الشيطاني بشكل فني؛ يوقع المسئولية على المتلقي في كيفية فهم المعنى، بحيث لو أن أحداً فكر في المحاسبة –جهة رقابية أو حتى فردية– لن يجد ما يمكن الإمساك به حيث تتعدد التأويلات. لكن هذا ليس كل شيء، فقد حمل The Home فكرة فلسفية، وشكلاً فنتازياً. ومن يقرأ للكاتب العراقي المبدع علي الزيدي، سيدرك أنها أفكاره، حتى لو تبرأ منها لاحقاً، واستعاض مخرج العرض غانم حميد بأنها "سيناريو" خاص به، وهومصطلح سينمائي وتلفزيوني لا يجوز استخدامه في المسرح.

لكن العرض حمل بزوائد أثقلته، مثل إقحام أغنية سميرة توفيق "بالليل يا عيني بالليل" –وإقرانها بتاريخ وتوقيت غير مفهومين بالنطق– لم تشكل إضافة للحدث، خاصة أن الوصف متعلق بالعلاقة الحميمية بين الزوجين، والتي بالغ العرض في بيان أهميتها بالنسبة لهما، حتى أن الزوج يَعِد زوجته، إن هي وافقت على منحه الطاقية، بقضاء وقت حميمي يمتد من العصر للفجر!

بالإضافة إلى ملامسات مباشرة، لا تحاكَم بشكل أخلاقي بالطبع، لكنها –جمالياً– لا تضيف للفكرة، وكان كافياً لنا جداً –كمتلقين– قراءة هذه العلاقة من إيحاء جميل خلقه المخرج للزوجين وراء الباب، يُفهم منه كل شيء. والطموح ألا تحيد الشخصيات عن القضية الأساسية إلى هوامش تميّعها، أو تسحب المتلقي لمناطق أخرى، تخاطب حس الغريزة فيه، أو التفاهة؛ من خلال الإشارة إلى كبر حجم أنف الممثل بشكل كوميدي لا يتسق أبداً مع حجم الحدث والكارثة المقبلين عليها، والتي وإن كانت في عرض مسرحي، لكنها –للأسف– مرآة لواقع لا نريد حتى أن نذكره، ولا نستطيع أن ننكره.

بالإضافة إلى المشهد الذي قلد فيها الممثلين اللهجة المصرية، حين يتحث ناطقها باللغة العربية، وهي مألوفة، خصوصاً في الأفلام التاريخية التي تأتي على حوارات الأشرار –الصورة النمطية منهم–، دون أن يكون لهذا المشهد أي إضافة تحسب للعمل. وكذلك المشهد الذي يستدعي الأم في هيئة مختلفة عن سابق حضورها الأولي، وبشكل أكبر سناً مما كانت عليه، وموسيقى الغجر العراقية كخلفية، وهي تردد جملة وحدة: "يا قوم يا ويلكم منهم.. أنهم قادمون"! وبينما الجملة تراجيدية والأداء كذلك، تقوم الأم بتغيير نغمة صوتها لصوت فرح، وترقص بالعصا التي كانت تتكأ عليها، وتنسحب للكواليس بنشاط. ويقاس على هذا زوائد كثيرة أثقلت العمل بما لا يضيف له، وأمده إلى ما يقارب الساعة والنصف، بينما كان بإمكانه تكثيف القضية إلى أقل من ذلك بكثير.

من الناحية الأخـرى، هناك نقطتان إيجابيتان واضحتان في العرض: قطعة الديكور الوحيدة المرنة "البيت"، وهو هيكل أساسي من الخشب، مع تفريغ السقف والجـدران والأرضية، وإضافة باب استخدم مرتين –ربمـا– إحداهما في الختام لمواجهة الجمهور، كإشارة للشراكة والمسئولية في المشكلة؛ والنقطة الأخرى هي الممثلون الجيدون، المختارون بعناية تنجح أي عمل: الزوج "محمد هاشم" بالإتقان في حيرته، وتنقلات شخصيته، وصدقها، والزوجة "كلوديا حنا" بمقوماتها الجمالية التي أجادت توظيفها، وبالانسجام والتقمص اللذين أبدياه، والحضور البهي للأم القديرة هناء محمد، وثقلها على الخشبة بالصوت القوي ذي مخارج الحروف الصافية، والأداء المتمكن بالطبع، وخادم العرض "مظفر الطيب" الذي شكل وجوده إضافة للعرض في التفريق بين الوهم والواقع؛ في المخاطبة المباشرة للجمهور، ومعـاونـة الممثلين، وتوضيح بعض ما قد لا يظهر في الحدث على الخشبة.

مسألة The Home لا تناقش مشكلة داخلية تخص جزءاً من طائفة أو وطن، ولا تضع الحلول على الإطلاق، لأنها مغلقة منذ البداية. هذا العمل يوقظ في كل متفرج حي النزعة لأن يحافظ على "بكارته" الرمزية، حتى لا يكان مباحاً وهدفاً سائغاً لمن ينتظرون هذا السقوط ليخوضوا في ما تبقى منه؛ فلا تكون قدسية الأم/ الجنة مغتصبة، ولا يأتي نزاع ظاهره هزلي وباطنه مؤلم في حوار زوجين حين ينتزع الشرف ويبدأ الجدال في إذا "نعال علي فهو نعال عليك"، والعكس في دلالات عنيفة لمن شرفه أهم من الآخر! في الأخير: سيطال هذا "النعال" الجميع.

الهوامش

(*) جملة تقال من قبل الأطفال في عيد "الهالويين"، حين يتجولون من بيت لآخر بأزيائهم التنكرية. وتقال هذه العبارة في حال لم يُعطَ الطفل حلوى، فإنه يهدد أنه سيقوم بإلقاء خدعة أو سحر على صاحب المنزل أو ممتلكاته.

تكيف الغجر: دراسة أنثربولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق، د.حميد الهاشمي، مكتبة الفكر الجديد، ص22.

https://www.youtube.com/watch?v=kL7kf5ZxLU8

القراءة مكتوبة بناء على العرض المشاهد في مهرجان الأردن المسرحي الثامن والعشرين المقام في عمّان، نوفمبر 2021

انتزع من صدري كقرنفلة برية..

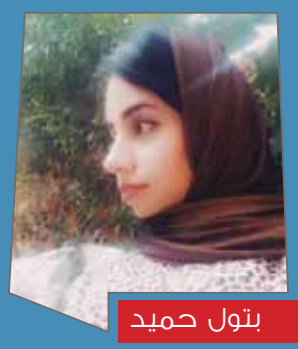

بتول حميد

دون سابق إنذار
وبرغم عنايتي وحساسيتي المفرطة
فقدتُ قلبي
انتزع من صدري كقرنفلة برية..
بدا مثقوباً وخاوياً
لم أتألم في بادئ الأمر..
لم أتحسس موضعه فور افتقاده

صار بوسعي أن أستبين جرحه غائراً
يدخله الهواء ويرتطم بضلعٍ مكسور
لم يلتفتْ المقربون
أن صدري فارغ..
حاولت أن أحجبه بقصيدةٍ معتقة
تضج بالاستعارات البليغة
وكريح تنتحب على كتف غابة مقفرة..
انهارت وعمقت فجوته..

كان عليّ أن أغلق الفراغ
ربما..
بساعةٍ جدارية صغيرة
تستعيد صداها المألوف ببيروقراطية
تتدلى حبالها الصوتية متداعية
يسمعُ تكاتها من حولي..
ويخالون أن قلبي على ما يُرام
يدق بانتظام.. وبصحة جيدة

***
حسناً.. أنت لا تعرف كم أنفخ من روحي في
«أحبك»
لتعيش طويلاً في قلبك..

***
في كل ليلة أنام على مخدة مبتلة
أشعر كأنما الموت بكامل هيبته.. يريد تقبيلي
كنوع من المواساة..
وعبثاً أستميل العمر ليوم إضافي
قبل أن يتوقف ركضك فيَّ قلبي
وألتقط بعينك آخر أنفاسي

***
الأنين الذي أخرسته الخيبة
خبأته عَمدًا
في ضحات متباعدة ساخرة
هكذا تتحامل الحياة على الصامتين
يشفرون آلامهم كالكلمات المتقاطعة

***
وحين يطوّق ذراعك عنقي..
أود لو أرفع شعري عالياً
كأن كل الكون تحته

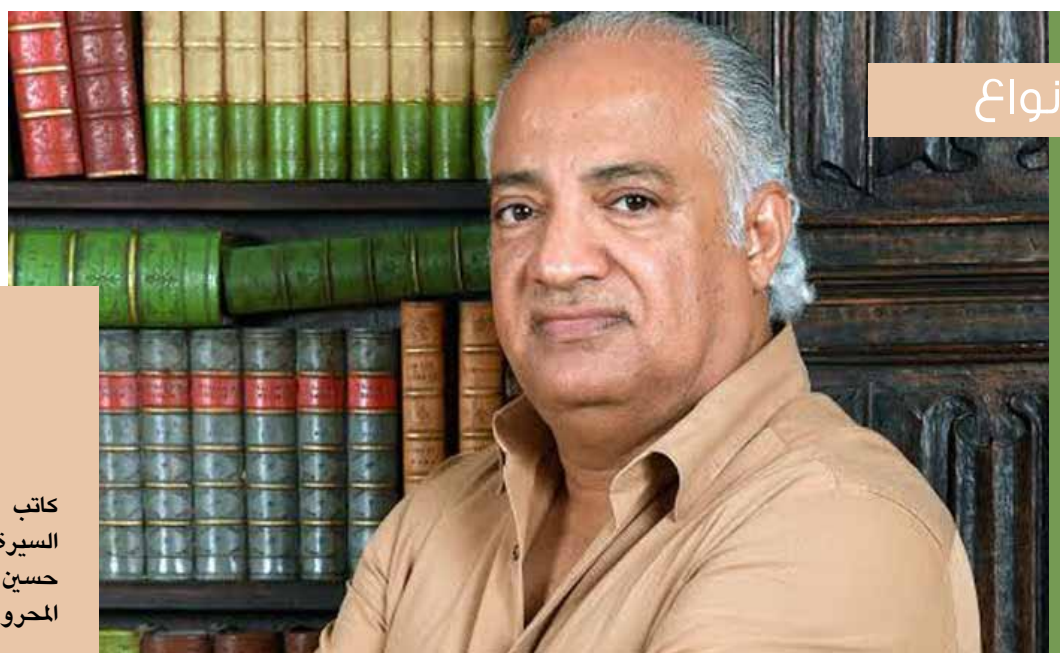

السيرة بوصفها كتابة عابرة للأنواع

"نسيج الحصارات" أنموذجاً

عبدالله زهير

كاتب السيرة حسين المحروس

في كتاب «نسيج الحصارات» للكاتب والفوتوغرافي البحريني حسين المحروس–الصادر سنة ٢٠٢٠ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغلاف أنيق وورق فاخر في ٣٥٢ صفحة–إعادة اكتشاف لشخصية لها أثرها العميق في التاريخ الاجتماعي والسياسي المعاصر في البحرين، فيما هي إضاءة على تشابكات حقبة تاريخية تكاد عتمتها ماثلة حتى اللحظة الراهنة، ولا سيّما تاريخ الهامِش المُعارِض الذي يَعصف به القمع والحجب والتبخيس والازدراء.

الكتاب يبدو للوهلة الأولى من كتب التراجم (البيوغرافيا)، إذ يتوغل في أضابير سيرة رجل الدين والسياسة البحريني المعارض الشيخ عبد الأمير الجمري المُتوفى عام 2006، إلا أننا إذ نتعمق قليلاً في قراءة الشكل واللغة والرؤية والمضمون نجد أنه يستبطن في أنساقه النصية والبصرية كثيراً من الحكي المتعدد الأصوات والمسارات، ناهيك عن الكثير من السرديات التي تستقرئ إشكاليات العلاقة المعقدة بين البنية السياسية الرسمية وبين البُنى المعارِضة في البحرين، ماضياً وحاضراً، في جانب آخر لا تُغفل البُعد المُستشرف في أفق انسداداتها وانكساراتها ومآلاتها.

في المُحصلة شكّلت هذه المزاوجة الرهيفة بين الاشتغال التوثيقي على التاريخ الفردي وبين الإبداع في ابتكار السيرة عاملاً حاسماً في إحداث الفارق، وفقاً لمعايير وميكانيزمات أدبية أضفت حيويةً سردية عالية التدفق على العمل بمجمله، ليتخذ بذلك مساراً مُختلفاً ومفارقاً لأطر أشكال السير التقليدية؛ نتيجةً لتوافر عناصر الشكل الأدبي الحديث العابر للأنواع، منها: جماليات اختيار العتبات النصية، ودقة هندسة الأجزاء والفصول بحساسية جديدة، وإحكام صياغة اللغة وتراكيبها، وتوظيف المخيلة، وتشعير السرد، واستخدام التشكيل البصري والخطي في فضاء الصفحة، ناهيك عن إعادة منتجة الأحداث وإخراجها من خلال استثمار الشكل اللاخيطيّ (الشبكي) في السرد وفقاً لاستراتيجيات التقطيع والتقديم والتأخير والاسترجاع(Flashback) السينمائية.

ثمة مواد خام تتشكل من اللقاءات الشخصية التي أجراها المؤلف مع زوجة الجمري وأولاده وعدد من أقربائه وأصدقائه، إضافة إلى الكتب والمخطوطات (بعضٌ منها قد كتبها هو نفسُه أو ابنُه منصور رئيس تحرير جريدة الوسط الموقوفة عن الصُدور)، وكذلك الصور وأرشيف بعض الصحف والمجلات. كل هذه استعان بها الكاتب، لا ليعطيَ سيرةً مبتسَرةً جامدةً أحاديةَ الشكل والرؤية، بل ليُشَكِّل فضاءً روائياً ورؤيوياً متحركاً تتضافر في نسيجه البِنيات النصيّة المصنوعة بإتقان وتمهّل. فهو، بهذا المعنى، فضاء يتورط فيه تاريخ الفرد بالتاريخ الجمعيِّ بشكل يُماهي الأبعاد السردية والتصويريّة بالأبعاد الوثائقية التسجيلية، مما عمّق ركائز الصدق الفني للعمل بوصفه متكئاً على سردية أحداث حقيقية وقعت، وما تزال أحداث مماثلة لها تَقع في الحاضر، ربما بشكل أقسى مما كانت عليه سابقاً. إنه أشبه ما يكون بكولاج سِيَري (بيوغرافي) منسوج بإحكام العاشق لتفاصيل الحياة الصغيرة ذات الدلالة الهائلة، في الوقت الذي يأتي نسْجُه مدموغاً بمثابرة السارد ومزاج المُصوِّر والتقاطاته، متخفّفاً من إكراهات الأشكال المسبقة.

تتقدم الكتاب عتبةٌ أولى بعنوان "إلا بيوت النسّاجين مضيئة"، وفي هذا الفصل القصير تتسلل بعفوية التناص بعض ملامح من رواية"سِماهُوي"2017، تلك القرية الأسطورية المُتخيّلة، حيث استكنه حسين المحروس في خضمّها من خلال لغة سردية/ شعرية طازجة فلسفة المنفى والهجرة عن هذا المكان الوديع الذي يمتزج فيه الإنسان بالطبيعة. "سِماهوي" هنا في كتاب"نسيج الحصارات" تتقاطع، بمعنى من المعاني، مع قرية "بني جمرة". بدا هذا واضحًا منذ الصحفةِ الأولى حيث يزخر وصفُ المكان بعناصر البحر والزرع، كما تتجسد القدرة على استنطاق الطبيعةِ التي تتشارك مع إنسانها المنغرس في أحشائها:" قيل إن الناس تكاثروا وصارت التلّة قريةً، لكنّهم بقوا فوقها، ينزلون منها في النهار إلى بساتينهم، والبحّارة إلى مصائدهم، لا يصعدون إليها إلا عند سُلوم الشمس، ومن يتأخر منهم يتفقدونه خوفاً من الناس لا من الطبيعة..."(ص11).

ثم تتوالى مباشرةً فصولٌ خمسةٌ حاملةً عنوان "الحِصار»–بالبنط العريض– بشكل متسلسل من الأول إلى الخامس، مذيلاً في أسفله، بمسافة ضئيلة، بعنوان فرعي – بالخط الرقيق– يحدِّد بداية تأريخ كل حصار وأسفله مباشرة بالبنط نفسه مدته الزمنية، وكأن انزياح تسمية الأجزاء من الشكل السائد(الفصل الأول،،،إلـخ) إلى الشكل الجديد الذي اقترحه الكاتب(الحصار الأول/1–15أبـريـل 1995/خمسة عشر يوماً،، إلخ) يُعبّرُ عن جنوح نحو إدخالنا في أجواء استكناه حالة الحصارات وشحذ الانتباه إلى أن شيئاً غير عاديّ يحدث في هذه البؤرة الزمكانية الضاجّة بالأسئلة والحيرة والخوف. كما لو أننا إذ نبدأ الدخول في النص نتوغل في تضاريس الحصار وتداعياته، متورطين في احتمالاته بوصفنا جزءاً لا يتجزأ من المحاصَرين أو المحاصِرين. ويتبين ذلك عبر جملة تتردد على لسان الشخصية المحوريةَ في النصّ:»–ألم أقل لك أن في هذا الليل يصير أمرٌ غير عادي؟!»(ص20).

ما يُلفت في هذه الفصول هو الذكاء المستنِد على الخِبرة في توظيف البُعد التيبوجرافي (Typography)، في الانعطافات المُباغتة لاتجاه السرد، من حالة إلى حالة أخرى، ومن زمن إلى زمن آخر. فحينما نستغرق في قراءة مأساة الحصارات الخمسة عبر رواة متعددين داخليين شهدوا صدمة الحدث من أقرباء الجمري– زوجته وبعض أولاده تحديداً–، تنتقل دفة المشهد فجأةً وبشكل متقطع، باستخدام تكنيك الاسترجاع إلى أجواء زمكانية ونفسية مختلفة، من خلال سرد تاريخ العائلة في بدايات القرن العشرين، وكذلك منعطفات احتكاك الجمري بشؤون الحياة والسياسة. إلا أن تبديل نوع الخط وحجمه وترك مسافة أكبر في الحاشيتين اليُمنى واليُسرى في الفقرات الجديدة يُعطي انطباعاً بحصول هذه الانتقالات المُكسّرة لرتابة السرد، بعد أن كسّرت جمود الخطوط الطباعية وثباتَها أولاً.

ثمة ما يشي بقلة الخوض في دور التكوين الديني وإشكالية تماهيه بممارسة السياسة في شخصية الجمري، ولكن المحروس يُتقن– إجمالاً– كيف يلتقط جذوة تفصيلة الحدث بعُمق، وهو القادم من ورشة الصنعة السِيَرية/السردية/البصرية. في تجربته هذه يُثبت أن الوثائق لوحدها لا تصنع سيرةً عميقةً. موهبة الكاتب، وشغفه، ومعرفته، مجتمعةً تفعل ذلك.

ملعب النجاح

نعرف جيداً أن القارئ الذي يعمل على انتشار أي عمل أدبي «قارئ ناقد»، وهو يضفي عليه شرعية ما تجعله يكتسب سمعة معينة فإمّا يزكيه أو يشوهه، وذلك وفق نظرته الجمالية لمعايير أدبية قد تتوفّر في العمل وقد لا تتوفّر.

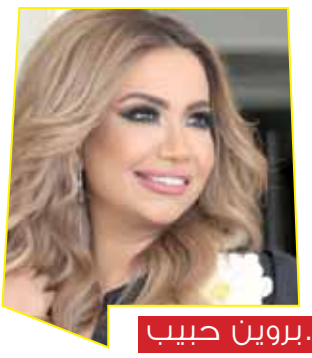

د.بروين حبيب

وهذا لا يعني أنه عارف بالقواعد الأدبية أو النقدية، فكل ما في الأمر أنّ هذا القارئ لا يكتفي بتلقي النص بل يتجاوزه إلى التفاعل معه حسب الظروف التي تحيط به، وتتحكّم في ذائقته ومدى إدراكه لأبعاد ما يحدث حوله. يلعب الظرف السياسي الاجتماعي على وجه الخصوص دورا مهما في مراوغة وعيه، وهذا ما يجعل مسار استقبال أي عمل أدبي يتعرقل أحيانا، دون الانتباه لقيمته الأدبية.

ففي الغالب يتفاعل الجمهور سريعاً مع ما يخرج عن أفق توقعه، يتلقفه بسرعة ليدلق بدلوه، تجذبه الفضيحة مثلا أكثر من غيرها، منع الرقابة، تصريحات الكاتب الصادمة، أمور كهذه تجعله يندمج مع الضجيج المؤقت، ناسيا تماما أنه يوجد أعمال مهمة في الضفة الهادئة غير البعيدة عن نظره.

صحيح أن الأدب يغير تصوراتنا الجمالية والحسية للعالم، بحكم أن الكاتب رجل مختلف ورُؤاهُ تُنتقَل إلى جمهور قرّائه، لكن ميكانيزمات القراءة لها أسرارها، فهي لا تتحكم في تصوراتنا فقط بل تعيد إنشاء العالم.

إذ يقال أن الأدب القائم على اللغة يستمد هذه القوة منها، لهذا دعونا نتذكّر قاعدة الآباء لنا حين كنا أطفالا: "هناك ما يقال، وهناك ما لا يقال"، «لسانك حصانك»، «إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب»...إلخ

خطورة الكلمة تعيدنا إلى عمرنا المبكّر، حين نتعلّم الكلام، فنخضع لعملية فرز لما يباح التلفُّظ به وما لا يُباح. فنتدرّب على تصنيف الكلمات، لأنّها سبيلنا الوحيد لشق طريقنا في الحياة، فبهذه الكلمات نكسب أصدقاء كما نكسب أعداء، وبها نحقق مكاسب كما قد نحقق خسائر، تبقى الخيارات في أيدينا، لخوض لعبة الكلمات تلك، أمّا القدرة على الخروج منها بسلام فهنا تكمن الشطارة.

الأدباء إذن يعرفون أسرار هذه اللعبة، (وينافسهم في ذلك رجال السياسة) وهم أكثر من يدخل فيها لأهداف مختلفة، قد تكون انصياعا فطريا لغواية اللغة، وقد تكون غير ذلك.

بول ريكور

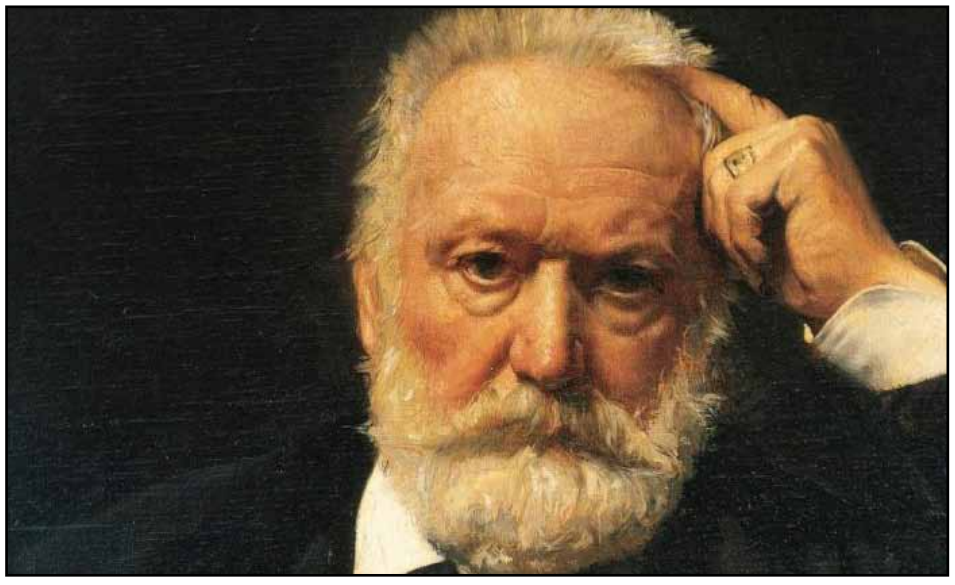

فيكتور هيغو

يوقظ الكاتب حواس قارئه ومشاعره وذكائه وضميره ليقوده إلى التشبع بفكرة ما بمقدار الكلمات المؤثرة والمباشرة التي يختارها لنسيجه اللغوي. يرتدي عباءة القائد الذي يجعل القارئ يتطوّر في مفهومه الأخلاقي ويغير من سلوكه، كما قد يرتدي عباءة المؤثر الذي يحث قارئه على العمل، أو المرشد المستنير، أو المخلِّص. ثمّة حقل دلالي كامل لكل كاتب يكشف منظومته اللغوية التي تشيِّد سمعته، بعدها يصعب خلع تلك العباءة لأنها تصبح قدرا يلاحق صاحبه

حتى آخر يوم في حياته.

بطبيعة الحال للقارئ كامل الحرية في رفض المقترح الجمالي المُقدّم له وإغلاق الكتاب، فالقراءة فعل حرٌّ بكل ما تحمل الكلمة من معنى، بين القبول والرّفض، بين الدخول والخـروج من العمل يسقط أي فعل إرغامي قد يخطر على البال. ينشأ الصراع السياسي من هذه النّقطة، بين الكتّاب والشعراء والمبدعين، وصنّاع القرار السياسي، لهذا يلجأ هـؤلاء إلى تقنيات الحجب، فما يذهب إليه القارئ حرًّا بالتأكيد أخطر بكثير مما يذهب إليه مكبّلا.

الـقراءة كما قـال بـول ريكور مكان للخلق، والعمل، إنها لا تختلف عن الكتابة، لهذا نجد تقاربا كبيرا بين المؤلف والقارئ.

نشعر بشكل ما أن المؤلف والقارئ يتقاسمان ساحة واحدة، ويتلاعبان بكرة يتقاذفانها معا في انسجام كبير. ربما تذهب بنا المخيلة بعيدا بتصوُّر مدى تناغم أدائهما معا، لكن ما هو أكيد هو أن أرضهما واحدة.

يتعلّم الكاتب المراوغة باللغة، ويتعلم القارئ فك رموز الغموض الذي يحتويه النص باعتماد مراوغات التأويل. يقرأ مرة وقد يعيد القراءة عدة مرات حتى يجد المعنى ويعيد بناءه بطرقه الإدراكية، وهو متحرر بشكل كامل من سلطة النص.

نخلص إلى نتيجة مهمة وهي أن القارئ كلما تفاعل مع النص وناقشه ازداد تحررا. ولكن سؤالا خطيرا يُطرح هنا: مـاذا لو وقع القارئ تحت سحر الكاتب إعلاميا؟ إذ يبدو أن حالة الانبهار هذه قد تعيق التفكير النّقدي وتأخذه لأماكن مغلقة تشبه السجن. فالأدب معرفة وليس مجرّد ترفيه أو مادة مخدّرة، وهذا أمر أساسي للمضي في فعل القراءة دون مؤثرات. بحيث إن لم يتم في فضاء حر، لم يكتمل أبدا.

بالنسبة لي العمل يخلق المؤلّف والقارئ في الوقت نفسه، أما سلطته فيستمدها من انتصاره في معركة النّقد، وإعـادة بنائه خلال رحلات القراءة المتنوعة، وكلما تعددت القراءات اتسع المعنى، وبسط سلطته أكثر.

الأكثر جدلا إذن هو الأكثر قوة، فثمة نصوص تعجبنا، ولكنّها من كثرة اعجابنا وانبهارنا بها نقتلها، كونها تجد نفسها خارج حلبة النّقد سريعا، يقتلها الصمت. أمّا بعيدا عن الإعجاب المبالغ فيه، فإننا حتما نتذكر غوستاف فلوبير الذي قال: "القراءة تحركني أكثر من أي مصيبة حقيقية" وهي فعلا كذلك، خاصة حين تشعل حرائق في الذات، لا شيء يخمدها غير نفاذ وقودها.

في روايته الشهيرة البؤساء، يشبّه فيكتور هيغو القراءة بإشعال النار، وكل مقطع لفظي بالشرارة، لم يكن مخطئا، فالقراءة مثل النّار بعد اكتشافها لا شيء بقي على حاله. وحين تأخذنا الحيرة لأن نصاً من القرن التاسع عشر أو السابع عشر لا يزال متوهجاً ويجذب قراء من كل الأعمار نتأكد أن الكاتب حين يكتب يفلت تماما من قبضة الزمن، إنه يطلق سراح الفكرة ويتركها تشق طريقها وفق مشيئة القراء.

قد يقول البعض أن المرء لا يكتب لقرّاء القرن التاسع عشر كما في القرن العشرين، وهذا صحيح، لكن الفكرة متى ما ولدت تطوّرت وانبثقت منها أفكار جديدة، وهذا مرتبط بمدى كفاءة القراء، وأعتقد أن هذا الأمـر واضح رغم التعقيد الـدلالي لمفهوم القراءة.

فالقراء عموما لديهم قواسم مشتركة أحيانا تتجاوز الاختلافات الثقافية، وهذا يعني أن هناك دائما بعدين في القراءة: أحدهما مشترك يحدّده النص، والآخـر متغير لأنه يعتمد على البصمة الثقافية للقارئ، أو لنقل على ما يقدّمه كل واحد من نفسه (قـرأت هذه الفكرة في مكان ما ولا أتذكر مرجعها للأسف)...

نقف بعد العرض المختصر لـدور القارئ في منح تأشيرة نجاح للعمل الأدبي عند عتبة غير مفهومة جيدا، وهي "لماذا بعض الأعمال تظل محفورة في ذهن القارئ وبعضها لا؟" أو لنسأل بصريح العبارة أي نوع من القُرّاء هو الذي يصنع نجاح العمل؟ يقول العارفون بخبايا النجاحات على أشكالها العديدة أن المصائر الاستثنائية لبعض الأعمال متعلّقة بأسباب أخرى غير الترويج الذي يقوم به القارئ لها. فالنجاح ربما يكون مرتبطا بشخصيات الرواية الناجحة، وهنا يبرز دور المؤلّف الذي لا يمكن الغاؤه، حين يدرك ما يود القارئ أن يكون عليه فيطبع في ذهنه صورة تعوّضه عن الحياة التي لديه.

ألم أقل لكم أن ملعب الأدب يلتقي فيه الكاتب بقرائه ويلعبان اللعبة نفسها دون كلل أو ملل؟ لكن علينا أن نتذكّر أن الفاشل يبحث عن شخصية فاشلة في الأدب ليعرف مصيره، والمظلوم يبحث عن المظلومين مثله، وفاقد الحب يبحث عن شبيهه، ولكن تكريس الفشل والظلم وخيبات الحب يكسر القارئ، إنّه بالتأكيد يبحث عن منفذ نور لمتاعبه الشخصية، لهذا يستحيل أن يروّج لعمل يزيد من تشويه ذاته وسحقها.

الصبيّة تلك

نعيمة السماك

على مهل تعاودني
تلك الأماسي
على مهل
استدعيتها
كحبيبات رمال
تنسكب الآن على ظهري
أربعة عقود
ودمشق غائبة
حاضرة
في الأحاديث
في اشتهاءات الصخب
في فناجين القهوة
في كاسات الشاي
في مقاهي الجامعة
في شوارع الصالحية
والمزرعة
في المقر العتيق
كل مساء يحتضن أحلامنا
قبل أربعة عقود
بثوب البراءة زرتها
تجاوزتُ عامي السابع عشر
بقليل
كنتُ تلك الصبيّة
أحلام لها
يفيض بها الكون
كنتُ تلك الصبيّة
التي وعدت أبويها بالشهادة العالية
والبعد عن السياسة
كما أوصى أبوها
كنت تلك الصبيّة
التي
حملت الوطن
ومع الرفقة تغنيت
(يا بلادي إن روحي تشتكي) *
أننا لا نرتضى ،،،،

كنت تلك الصبيّة
التي
كبرت
عادت
هرمت
شهدت
أخطبوط الظلم ماذا يفعل ؟
ولم يفق الفاروق بعد
من إغفاءته الأبدية
كنتُ تلك الصبيّة
لم تزل عيناها
تهفو لوطنٍ حر
وشعبٍ سعيد.

أغنية للفنان خالد الشيخ كانت متداولة أيام الحياة الطلابية نهاية السبعينيات من القرن الماضي.

أي أوجاع يُورث المنفى؟

من أكثر الشهادات التي قرأتها عن المنفى، عمقًا وشجنًا ووجعًا هي تلك التي كتبها المثقف العراقي الشهيد كامل شياع الذي أودت بحياته رصاصة غادرة في بغداد، التي عاد إليها من منفاه في أوروبا بعيد سقوط نظام صدام حسين الذي اضطره، كما مثقفين ومبدعين عراقيين كثر، على التغرب عن وطنهم.

د. حسن مدن

هالني، في تلك الشهادة، أنه كان يهجس بالموت، ولأمرٍ ما لم يكن يخافه: "أعلم أنني قد أكون هدفًا لقتلةٍ لا أعرفهم، رغم ذلك أجد نفسي مطمئنًا لأنني حين وطأتُ هذا البلد الحزين سلمتُ نفسي لأمر القدر بقناعة ورضا. القضية بالنسبة لي تعني الحياة وليس الموت».

كم من الجهد علينا أن نبذل لفهم ما الذي يجعل شخصًا ينعم بهدوء أوروبا ونظامها وحريّاتها وتحضّرها يخلفها وراءه، ويعود إلى وطن محتل بلغ القاع تتناحر فيه الطوائف، ويسعر فيه أمراء المذاهب وداعموهم خارج الحدود الاقتتال الأهلي.

لدى كامل شياع نجد الجواب: "للعودة من المنفى في حالتي سبب عاطفي أكيد، إذ وجدت نفسي في علاقة لا أقوى على استبدالها أو تعويضها، إنها العلاقة مع الوطن كمجموعة من البشر والتقاليد والأمكنة، كفضاء من ضوء وهواء، من فوضى وخراب وألم، وبعد أن جربت هذه العلاقة صرت متيقنًا من جدواها ومعناها بوصفها حقلًا للممارسة اليوميّة والفكريّة».

بل إننا نجد عند كامل شياع توضيحًا أهمّ جدير بالكثير من متحذلقي الثقافة أن يقرؤوه بعناية: "عدتُ إلى العراق بعدما اكتشفت أنني شخص دون مشروع خاص، في السّياسة كما في الثّقافة، مشروعي مرتبط بالجماعة، فلا فعل ولا حضور من دون مشاركة وتضامن».

الذين خبروا المنفى الطويل يستطيعون أن يحسوا بكل كلمة من الكلمات التالية لكامل شياع: "عدتُ من المنفى وأنا مدرك أن لا عودة لي منه لأنه يجدد نفسه في كل تماس مع ما هو مألوف أو غير مألوف. كل رجوع عن المنفى تعميق لجذوره وإيهام بخفاياه».

حين يرد اسم ناظم حكمت ترد تركيا، إننا غالباً ما نسبق اسمه بالوصف التالي: الشاعر التركي. ولكن ناظم حكمت أصبح تركيًا استعاد جنسيته لاحقًا. قبل ذاك لم يكن الشاعر الذي مات في صقيع المنفى بعد سبعة عشر عاماً قضاها في سجون تركيا يحمل جنسية بلاده، حيث كانت السلطات قد أسقطتها عنه قبل عقود، تعاقبت فيها على تركيا حكومات مختلفة في ذلك التناوب الرتيب بين حكم العسكر وحكم المدنيين، لكن حكومة من هذه الحكومات لم تتذكر أن أهمّ شاعر في تركيا في القرن العشرين قد نزعت عنه جنسيّة وطنه. لقد أحبّ تركيا أكثر مما أحبها كل الذين تعاقبوا على الحكم فيها طوال حياته وممات، ومن أجلها قضى قرابة العقدين في سجونها.

في شهادةٍ لزوجته، قالت إن ناظم حكمت كان يصحو كل صباح ليذهب راجلا إلى مبنى البريد تسقطًا للرسائل المقبلة من الوطن البعيد تحمل أخباره، وكانت تلك الأخبار زادًا وملهمًا وباعثة على الدفء في برد الروح الذي يجتاح المنفى.

وفي صباح أحد أيام صيف عام 1963 خرج إلى مشواره اليومي نحو البريد، لكنه لم يعد. لقد سقط ميتًا في الشارع وهو في طريقه متلهفًا إلى رسائل الوطن.

بين الشعراء وصندوق البريد علاقة قدريّة. أذكر تلك المشاهد العبرة في فيلم "ساعي البريد" الذي يروي جانبًا من حياة الشاعر التشيلي بابلو نيرودا في المنفى بإيطاليا. كان الشاب الغر ساعي البريد يحمل في كل صباح رزمة من الرسائل إلى الشاعر الكبير التي ترده من قرائه وقارئاته من الوطن البعيد، وحين أدرك الشاب أن من يحمل إليه البريد يوميًا هو شاعر كبير وحائز على نوبل أيضاً رجاه أن يُعلّمه كتابة الشعر.

قال له: أريد أن أصبح شاعراً، وحين سأله نيرودا عن السبب، أجاب: لأنني أحبّ فتاة جميلة، وأريد أن أكتب لها شعرًا، وكان رد نيرودا بسيطًا ومعبرًا ومكثفًا: إن الحب هو قصيدة شعر.

لكن المنفى ليس فقط هو النفي عن الوطن. بالكاد كان فرانز فانون في السابعة والعشرين من عمره حين وضع كتابه المهم والمُلهم: "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء"، فالشاب الآتي من مورتينيك سيكتشف بشرته السمراء في فرنسا التي ولّدت لديه شعوراً بالغربة في مجتمع أبيض.

سيتعزز هذا الشعور لديه فيما بعد أثناء عمله في الجزائر مديرًا لمستشفى الأمراض العقليّة مدة نضال حركة التحرر الوطني الجزائريّة من أجل الإستقلال، ما حمله على الإستقالة من منصبه، حين شعر بأن المعاملة المختلفة له كونه آتياً من الكاريبي نموذج لمعاملة ذوي البشرة السمراء مثله، فاستنتج أن الأمراض النفسيّة التي يعانيها مرضاه الجزائريون آتية من معاملة المستعمر لهم.

سيغدو "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" مرجعاً تتجدد الحاجة إليه عبر الزمن، حيث عاد مجددًا إلى الصدارة بفعل تنامي الاهتمام بدراسات ما بعد الكولونياليّة. وسيكون لافتًا أن مفكرًا آخر آتيًا من العالم النامي هو إدوارد سعيد هو من أبرز من أعادوا لفت الأنظار إلى دراسات فرانز فانون.

وجد إدوارد سعيد أمرًا مشابهًا لسيرته في سيرة فانون، فهو الآخر آت من بيئة شرقيّة ليعيش في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ويدرك المعاناة الناجمة عن وقوف المرء على تخوم أكثر من هُويّة، ما ينجم عنه نتائج متضادة، فمن جهة يكون هذا الموقع مصدر ثراء للشخصيّة، لتعدد المصادر الثقافيّة واللغويّة التي لا تتوفر لمن يولدون بهُويّة واحدة، ومن جهة أخرى يمكن لذلك أن يكون مصدر شعور بالمنفى الداخلي، حين يشعر متعددو أو ثنائيو الهُويّة بالغربة إزاء بيئة المجتمعات الآتين منها، كونهم انفصلوا، فيزيائيًا، عنها، وبيئة المجتمعات الآتين إليها كونهم يحملون بشرة أو ملامح مختلفة، أو تكوينًا ثقافيًا مغايرًا.

وللسبب نفسه، ليس غريباً اهتمام إدوارد سعيد بحياة عالم النفس الشهير فرويد، حيث كان يلقي كل سنة كلمة في المتحف الذي يحمل اسمه في فيينا، وعنه كتب كتابه المهم "فرويد وغير الأوروبيين"، ففرويد هاجر إلى بريطانيا بعد استيلاء النازيّة على موطنه النمسا، ما جعله يجرب فكرة المنفى في معناها المباشر، ليضاف إلى شعوره، قبل ذلك، بالمنفى الداخلي وهو في النمسا كونه يتحدّر من أقليّة.

مختبر السرديّات في البحرين في سنته الأولى

أحدث «مختبر السرديات» في البحرين، خلال سنة من نشاطه، حراكاً أدبيًّا ونقديًّا ملحوظًا في الفضاء الثقافي المحلي والعربي، من خلال الأعمال السردية التي تناولها بالمناقشة والتحليل والنقد، والأدباء الذين استضافهم، أكانوا ممن جرى تناول أعمالهم من كتّاب، أو النقاد الذين تناولوا هذه الأعمال بالدراسة.

ولأن انطلاقة مختبر السرديات جـاءت في ظـرف كانت جائحة «كورونا» في ذروتها، حيث تحوّلت الكثير من الأنشطة الثقافية إلى العالم الافتراضي، فـإن المختبر نجح في أن يجعل من فعالياته أحـد مظاهر المواجهة الثقافية لتحديات الجائحة التي قلّصت الأنشطة الثّقافيّة الفعليّة إلى أدنى المستويات، لا بل وأوقفتها نهائيًّا في الكثير من الحالات، وطبيعي أن حال التعافي التي نعيشها حاليًا في محيطنا، ستعطي دفعة أكبر للمختبر في المرحلة القادمة.

يسجل لمختبر السّرديات في البحرين احتفائه بعديد النصوص المحليّة والخليجيّة والعربيّة، ومع أني لم أتابع إلا القليل من أمسيات المختبر بسبب انشغالاتي في الفترة الماضية، ولكن ما حضرته منها يسمح لي بأن أشهد بما يحرص عليه القائمون على المختبر من تجويد وحسن اختيار للأعمال والضيوف، ومـن حسن إدارة للمناقشات والحوارات.

«حداثة ظهرها إلى الجدار» على طاولة مختبر الفلسفة

كتب: هشام عقيل:

عقد مختبر الفلسفة والفكر النقدي في مقر المنبر التقدمي جلسة حوارية حول كتاب (حداثة ظهرها إلى الجدار) للكاتب الدكتور حسن مدن، حيث ناقش المشاركون مجموعة من الأفكار الـواردة في الكتاب، وتمكنوا من توجيه الأسئلة، والآراء، والتعليقات، للمؤلف نفسه؛ كضيف الجلسة.

بدأ المشاركون بتناول السؤال الأساسي للكتاب، وهو سؤال الحداثة والفرق بينها وبين التحديث. فحسب الـكـتـاب، شـهـدت الأبـنـيـة الاجتماعية الخليجية تحـديـثـات اقتصادية وبنائية ارتبطت بالبنية التحتية والعمران، ولكنها لم تشهد نهضة حداثية في الثقافة والفكر؛ كتلك التي شهدتها بلدان أخرى غربيّة وعربيّة.

ورأى بعض المشاركين في الجلسة بأن وجود الاستعمار نفسه قـد ساهم في عملية التحديث كما هـو في مثال البحرين، بينما أشار آخرون بأن الاستعمار لعب دوراً سلبياً في الربط البنيوي الشامل.

من جهة اخرى، طُرح السؤال حول ما إذا كان تعثر مسار الحداثة في منطقتنا الخليجية عائد إلى أسباب داخلية خاصة بظروف وخصائص تطوّر مجتمعاتنا، أشار بعض المشاركين بأن الالتزام بالقالب التقليدي للمراحل الخمس للتطور الاجتماعي يؤدي إلى فهم تقليدي وأحادي للمجتمع. وأن أحد محاولات الكتاب المذكور هو ربط المحددات الاقتصادية بالأبنية الفوقية (الأيديولوجية والسياسية) للمجتمعات الخليجية عموماً، وبالتالي الخروج من القالب التقليدي هذا.

وقاد ذلك إلى الجدال حول طبيعة الإنتاج السائد في الخليج قبل اكتشاف النفط، فهل كان يتسم بطبيعة كولونيالية؟ أم إقطاعية؟ أم خراجية؟ وهل أدى النفط، والاعتماد عليه، إلى تحديث رأسمالي بمعناه الحقيقي؟

اتفق المشاركون بأن الكتاب يمثل نظرة بانورامية لحكاية الحداثة في الخليج، حيث سعى المؤلف لتتبع حقب التطور الثقافي والمجتمعي في بلدان المنطقة، انطلاقاً من الحال الخاصة لقلب الجزيرة العربية، وانتهاء بملابسات التحولات المجتمعية في بلدان المنطقة الأخـرى، ومن بينها البحرين التي أفرد الكاتب لها الفصل الأخـير مـن كتابه من خـلال نظرة شاملة للأفق الخليجي عامة، مع التوقف عند الخصوصيات التي وسمت الحراك الثقافي والسياسي في المجتمع البحريني.

المرحوم
عبدالله
علي
خليفة

بالتزامن مع الذكرى السنويّة لرحيل الشهيد الشاعر سعيد العويناتي، ومن أرشيف مقالات المناضل والأديب الراحل عبدالله خليفة نعيد نشر هذا المقال الذي كتبه في ذكرى رحيل رفيقه سعيد.

المحرر

وردة الشهيــد

أذكـره ذلك الفتى القادم من بغداد، الذي جاء بأحلام الشعر والغد الجميل وكلمات الحب والحمام. أذكـره بطلعته الوسيمة، وشعره الأسود الفاحم الكث، ووجهه الأسمر المشرق، كطفل دخل إلى غابة متوحشة، وقبل ذلك كنت أراه مع فتيات القرى والمدن في لوريات دائرة الأشغال يحمل الحصى والـتراب والحطب، ويشتغل بين حشود العمال الكهول، أولئك الذين بقوا من طوفان الغوص والبحر كأشلاء ممزقة، كقدر شعبنا البسيط أن يسبح في دائر العوز والبقاء..

لماذا حمل الفتى أحلامه الكبيرة، وسافر وتغرّب ليجيء بحلم الشعر والوطن، ليغدو شاعرًا لم يكتمل، كجميع مشاريعنا في النضال التي تتأرجح بين الممكن والمستحيل..

(سعيد العويناتي) هذا الفتى القروي، المـدني، العالمي، الشاعر، الثائر، الصحفي، الشهيد، جاءنا مثل غيمة ورحل، مثل عصفور ذو زغب وقُتل، مثل كل شهدائنا الذين تركوا روائحهم وذكرياتهم وأحلامهم في عظامنا، وذابوا في السفن والمدن.

أذكره وهو بكل صدره المفتوح للغد والأمل، لم يشيخ، ولم يكتمل، باقٍ هناك في روحي، لم ينزع قمصانه ولا ألقى أوراقه، بسنه المكسور الأمامية، بابتسامته الغريبة، ولكنته وهو يلقي الشعر في ناد بـ (البلاد القديم)، ولايزال الضوء يترجرج بالظلام، ودروب القرية مفتوحة لاجتماعات الفرح والدم، وهو سعيد بأنه يمتلك كل المشاريع للغد.

أذكره في مثل هذه الأوقات المختلجة برعشة الشتاء، بين النخيل وعند البحر، ووجهه كأنه يتحد بالسواحل والـتراب، عبر مشروعاته الكثيرة للتغيير، والتحديث، والنضال مع الناس من رفع الأجور حتى إدخال الشعر في كل بيت.

كان طازجًا ورقيقًا وجلده الغض لا يحتمل حتى الكلمات الجارحة، وقد كبرنا وشخنا، وامتلأت أجسادنا بالنصال والندوب، وهو لايزال شابًا فتيًا متحدًا بالصواري والحقول.

شاعرًا أبديًا في جسد الوطن، خارج الجروح والسيوف، معطيًا ذاته وكلماته لكل بيت، ونحن تعبنا وهو لم يتعب، صامد في دائرته الشفافة، الخالدة، فأعجب كيف يتحول الشهيد ويكبر، وكل مرحلة تعطيه عطرًا ولونًا، فتغدو الشهادة مراقبة لنا ولضعفنا ولتخاذلنا وهزائمنا، محرضة إيانا على الصمود والنضال والازدهار مادة ومعنى.

كل الشهداء الذين مروا بنا، ملأوا حديقة الوطن والأرض بالأزهار، كل منهم وردة ناضجة بالرواء والماء، كل منهم مشروع لم يكتمل في الحياة واكتمل في الخلود، كل منهم عطر اتحد بالشمس والهواء وتغلغل في الروح والدماء.

ليتهم كانوا معنا الآن، لـيروا كيف أن تضحياتهم لم تذهب هباء، وأن كل شعرة من جسد، وبيت من شعر، وكل منشور فسفوري ألقي في زقـاق، وكل عظم تحطم، وكل كلمة انفجرت بها الحناجر على الجسر، وكل صرخة أم ثكلى، وكل نبض انتفض، كلها، كلها ساهمت في بـزوغ فجر الوطن وتحـوّلاتـه، في ميلاد مؤسساته الشعبية الديمقراطية، في قدسية اسم البحرين، وتحوله إلى حمامة فوق خريطة العالم.

أراه الآن سعيدًا بقفلتنا التي كانت منهكة، ممزقة، تائهة في الرمال والرمضاء، والتي وصلت إلى نبع صاف، إلى ماء عذب وفرح ومهرجان..

لازلنا نحبك يا سعيد. لازلتم أيها الشهداء في مآقينا، تشربون الحرية معنا، وتسقون أجسادنا ماء التضحية والفداء، وتناضلون بغيابكم العظيم حضوركم الأبدي.

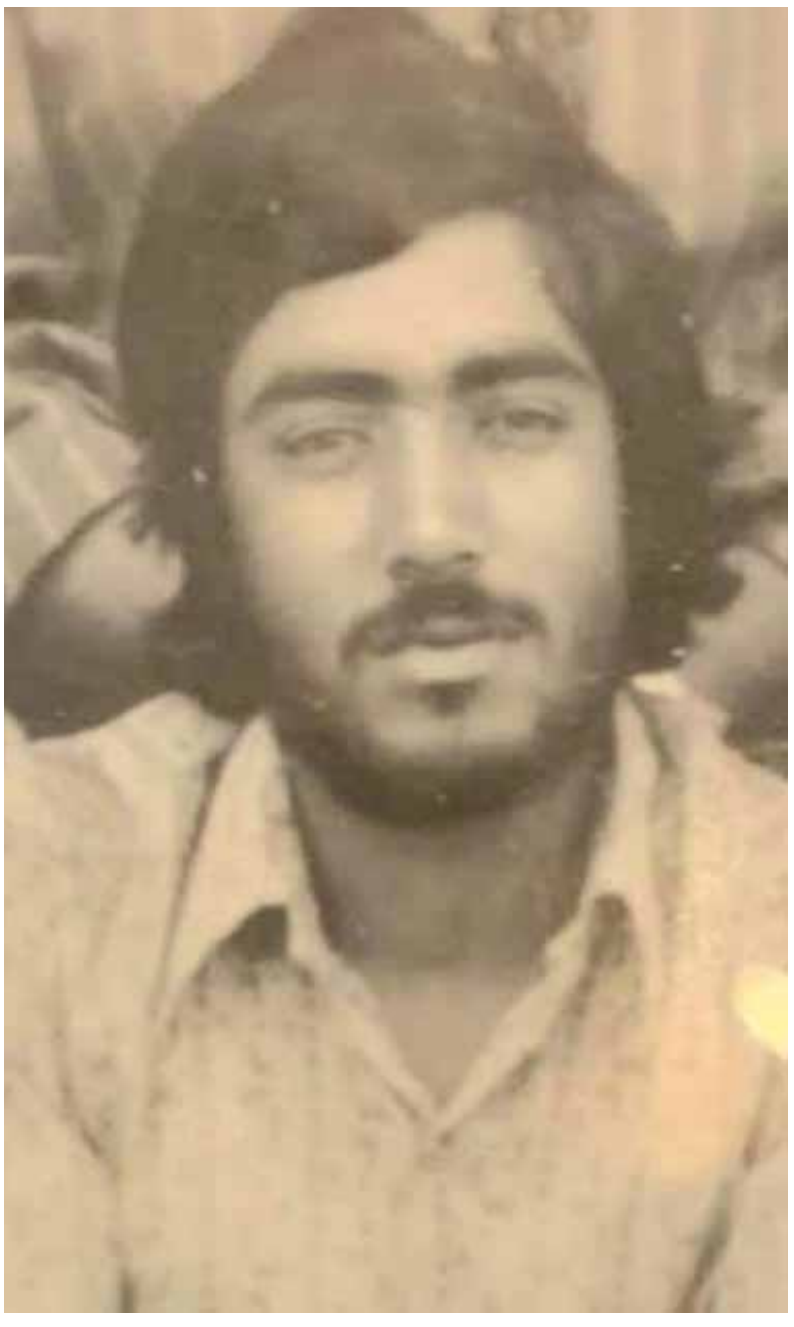

محـارة

إلـى روح الشهيـد سعيـد العـويناتـي

شعر: شير كوبي ته س

كُثر هم الشعراء والأدباء العراقيون الذين كتبوا في رثاء شهيدنا الغالي الشاعر سعيد العويناتي، الذي درس في جامعة بغداد وأحبّ العراق، وجمعته علاقات صداقة ومحبة مع مثقفين ونشطاء تقدميين عراقيين، وقد نشرت «التقدمي» في أعداد سابقة بعض هذه النصوص، وفي ذكرى استشهاده السنوية في الثاني عشر من ديسمبر الجاري، ننشر هذه القصيدة للشاعر الكردي العراقي شير كوبي كه س، التي نشرت أول مرة في مجلة «البديل» التي كانت تصدر عن رابطة الكتّاب والصحفيين والفنانيين الديمقراطيين العراقيين، في عددها الصادر في مايو/ آيار ١٩٨٧، وأعادت نشرها مجلة "الفجر" التي كانت تصدرها جبهة التحرير الوطني في المنفى، في عددها رقم ٧٢ الصادر في يناير/ كانون أول عام ١٩٨٨.

رجاء أتسافر إلى البحرين؟
من الجبل توصيّة
من الثلج رسالة
ومن غابة البلوط تحيّة
إلى شاعر هناك
– من هو؟
سعيد العويناتي
إنه في الغياب ولم يعد له عنوان!
– كلا! اسمع:
هو ابن البحر
فاسأل أية موجة
تدلك على ضفافه الجديدة
هو أغنية
فاسأل الطير
يدلك على عشّه الجديد
هو التمر
فاسأل النخلة
تدلك على سعفه الجديد
– وأين هو منزله؟
في محارة أرجوانية اللون
هي بالضبط
يسار رئة الشعب

الشهيد سعيد العويناتي مع زملائه في قسم الصحافة بكلية الاداب بجامعة بغداد، وتظهر في الصورة زميلته في الجامعة الأديبة والصحفية العراقية إنعام كجه جي

التقدمي

التقدمي العدد 169 ـ ديسمبر 2021 السنة التاسعة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

غافلاً عن ريشةِ الإمكان

نص: مهدي سلمان

ينسى، ويومئ نافياً، ويهزّ رأسه
عيناه تبتعدان عما تنظرانِ له
يحكُّ بسهوهِ شَعرَ الهواء،
يغيبُ في حفرٍ من المجهول،
يقذفُ في خيوط الكهرباءِ اللامعات وجوده
ويُضيءُ نفسَه

هذا الذي لا شيء يشغله
يفكّرُ في فقاقيعِ الصدى
ويطّبقُ المعنى على المعنى،
وتمحوهُ الدقائقُ ثم ترسمه
وتمحوه، وترسمه، يذوبُ
كأنه عَدوُ السحابِ على قماشِ الماء
يجمدُ واجماً، فتراه صار اثنين
يشتبكان في صورٍ مضببةٍ
وتنبت كلمةٌ بيضاء في شفتيه
يُطلقها ويطلق خلفها الصيّادَ/ حسَّه

أنت موجودٌ ولستَ،
إذا انتظرتَ كفايةً
سيجّرك العدمُ الذي
بيدينِ من وهمِ الدخان

يشدُّ حبلاً لا نهائياً من الهفواتِ،
لو شردَت حروفك من فمِ الرغباتِ
قلتَ: أنا مصيري. واستفقتَ،
وإنما مازلتَ بينْ
ساهياً تطفو على النقرِ الموقّع للحقيقةِ
غافلا عن ريشةِ الإمكانِ
تسقط فوقَ عين

أنتَ موجودٌ ولستَ،
هنا بعيداً عنكَ،
لا شيءٌ يثيرُك غيرَ صمتكِ
واشتباك حقيقتين..
يُنسى، ولا ينساه إلا هُو
ويُتركُ في ظلامِ بكائه السريّ
وعلاً تائهاً في قسوة النسيان
يَكسرُ وهو يقفزُ
في الصخور قوائمَ المعنى
ويسحقُ كلما ركضت به الأوهام
ماضيه وحاضره
ويجرحُ يومه ويفتُّ أمسَه.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com